دراسة
للاستشارات والدراسات والترجمة

خدماتنا

- الاستشارات الأكاديمية
- توفير المراجع
- ترشيح عناوين البحث
- الترجمة الأكاديمية
- خطة البحث العلمي
- التحليل الاحصائي
- الاطار النظري
- التدقيق اللغوي
- الدراسات السابقة
- التنسيق والفهرسة
- النشر العلمي

00966555026526

Drasah.com

احصل على خصم 10% على جميع خدماتنا
عند طلب الخدمة من خلال الواتساب
دراسة
للاستشارات والدراسات والترجمة
00966553026526 - 00966560972772
info@drasah.net - info@drasah.com
www.drasah.com

جامعة اليرموك

كلية الآثار والأنثروبولوجيا

قسم الأنثروبولوجيا

إسهامات الأقليَّات العرقيَّة في صناعة التراث الثقافي الأردنيّ

دراسة أنثروبولوجيَّة

في مدينة عمان/ الأردن

Ethnic Minorities “Contributions on Jordanian Cultural Heritage”: An Anthropological Study inAmman/Jordan

الطالبة: لينا محمود محمد البكار

الرقم الجامعي: 2017950010

بإشراف:

د. ربى العكش

العام الدراسي: 2019/ 2020

الفصل الدراسي الأول

ملخص

إسهامات الأقليَّات العرقيَّة في صناعة التراث الثقافيّ الأردنيّ

دراسة أنثروبولوجيَّة

في مدينة عمان/ الأردن

إعداد

لينا محمود محمد البكار

المشرف

الدكتورة ربى العكش

يعد موضوع الأقليات من الموضوعات المهمة والمتداخلة ضمن عدة تخصصات عديدة مثل: علم الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، وعلم الانثروبولوجيا. وهناك اعتقاد قوي أن التنوع الثقافي هو أحد أهم القيم المضافة وفرصة للمجتمعات والمؤسسات الثقافية العامة في تعزيز دور الحوار بين الثقافات .هذا الفهم الايجابي للتنوع الثقافي هو الاساس ويشكل المنظور العميق لهذه الاطروحة. والتي تسعى لبناء مساحات أكبر لتعميق فهم الثقافات الاخرى ، لما في ذلك من دور محوري في ربط الناس وبناء مجتمع أكثر تماسكاً وانفتاحاً

تأتي أهمية هذه الدراسة بأنها تلقي الضوء على الأقليات التي وجدت في الأردن وعلى وجه الخصوص الشركس والشيشان، وذلك من خلال المقابلات الشخصية التي أجرتها الباحثة في الميدان؛ ليعكس ذلك مدى أهمية هذه الأقليات التي ساعدت في نهضة الأردن في شتى المناحي العلمية والعملية.

واتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ لعرض وتحليل النتائج، وقد تضمنت هذه الدراسة كلمات دالة : الآقليات، الشركس، الشيشان والتراث. وتم الحديث عن الاقليات والتعريف بها من خلال تتبع مسار هجرة تلك الأقليات إلى الأردن من خلال وصف دقيق على لسان مجتمع الدراسة وتقديم وصفٍ أثنوغرافيّ محكيّ يروي قصتهم وتاريخهم الشفوي والتحدث عن معاناتهم في الفصول الأولى من هذا العمل.

وخلصت الدراسة لعدد من النتائج منها: حجم المعاناة والتعب والمعوّقات التي تعرض لها الشركس والشيشان في بلادهم خلال رحلات هجراتهم، وحتى مراحل استقرارهم وهو ما جعلهم يتمسكون بخصوصيتهم وتراثهم ودينهم الإسلامي أكثر؛إذ كان السبب الرئيس في ارتحالهم وهجرتهم هو فرارهم بدينهم من اضطهاد الروس لهم، وضغطهم عليهم ليبدلوا دينهم. إضافةً إلى ذلك سكناهم في تجمعات عديدة، استطاعت أنْ تحافظ على العادات والقيم التي انتقلت معهم من بلادهم الأصليَّة إلى حد ما، وأثّرت كذلك في توحدهم كقوة اجتماعيَّة وسياسيَّة متّزنة، وتسهيل سبل التواصل بينهم وبين المجتمع المستضيف الذي سهل عليهم العيش بأمان بل وصداقة، وكيف أثرت هذه التجمعات في تكوين التراث الأردني المعاصر ويترجم هذا من خلال بعض

النشاطات التي قام بها أفراد تلك الأقليات في محاولة التكيف في أرض الوطن الجديد والتعايش مع الشعب المستضيف.

وقد قامت هذه الدراسة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة؛ تناول الفصل الأول الإطار المنهجي للدراسة حيث تضمن مقدمة الدراسة التي تحدثت عن تمهيد بسيط لموضوع البحث ومنهجيته وفصوله، بينما تحدث الفصل الثاني عن مجموعتي الشركس والشيشان: التاريخ والثقافة، والتي أوردت معلومات موثقة حسب ماجاء في دراسات تحدثت عن هاتين المجموعتين عينة الدراسة. في حين جاء الفصل الثالث متناولاً الدراسة الإثنوغرافية والمعتمدةً على المقابلات الميدانية التي قامت بها الباحثة في تجمعات العينة المدروسة، ثم الفصل الرابع الذي احتوى على المناقشة والتحليل والنتائج لما قامت به الباحثة، وأخيرا ختمت الدراسة بخاتمة احتوت على توصيات الباحثة.

- **الكلمات المفتاحية: الشركس, الشيشان, التراث المادي وغير المادي, الاقليات**

Abstract

Ethnic Minorities "Contributions on Jordanian Cultural Heritage": An Anthropological Study in Amman/Jordan

By: Lina Bakkar

Supervisor: Ruba Al-'Akash

Minorities are important and cross-cutting issue into various disciplines such as sociology, economics, politics and anthropology. There is a strong belief that cultural diversity is one of the most important added values and an opportunity for communities and public cultural institutions to promote intercultural dialogue. This positive understanding of cultural diversity is the foundation and strong outlook of this thesis,as it seeks to build greater spaces to deepen the understanding of other cultures, due to its fundamental role in connecting people and building more cohesive and open society.

The importance of this study comes becuase itsheds light on the minorities in Jordan, particularly, Circassians and Chechens. Through personal interviews conducted by the researcher in the field, this study displays the significance of these minorities on the progression of Jordan in several areas. In this study, the researcher employed the descriptive analytical approach to present and analyze the results, she investigated minorities by tracing their migration to Jordan throughverbal description. The researcher also presented narrated ethnographies and oral history about the communities under study.

The study concluded a number of results, including: the extent of suffering, fatigue and obstacles Circassians and Chechens faced in their countries, during displacement, and afterressettelmen. Such difficulties caused more attachment to their privacy, heritage and Islamic religion. The main reason for their migration was Russian persecution and huge pressure to change their religious affiliations. As a result, Chechens and Circassians aggregated in tribal groups to preserve the customs and values inhereted from their homeland, and also to stay as a balanced social and political force.The communication between them and the host community was smooth, which helped them to live securely.

This is manifested through some activities undertaken by members of these minorities in an attempt to adjust to the new home and integrate with the host community. This study has an introduction, four chapters and a conclusion. The first chapter includes theoretical framework, and introduction which highlights the research topic and research methodology. While the second chapter looks at the Circassian and Chechen groups: History and Culture, which offered documented information as reported in other relevant studies. The third chapter has the ethnographic study and based on field interviews conducted by the researcher, the fourth chapter, contains discussion, analysis and results. Finally, the study ended with a conclusion as well as, the researcher's recommendations**.**

Keywords: Circasians, Chechins, Tangible and Intangible Culture, Minorities.

فهرس المحتويات

الموضوع		الصفحة
قرار لجنة المناقشة		أ
الإهداء		ب
الشكر والتقدير		ج
فهرس المحتويات		د
ملخص الرسالة باللغة العربية		ز
ملخلص الرسالة باللغة الإنجليزية		ط
الفصل الأول: الإطار المنهجي		
1-1 المقدمة		2
1-2 مشكلة الدراسة		6
1-3 أسئلة الدراسة		6
1-4 أهداف الدراسة		7
1-5 أهمية الدراسة		8
1-6 منهجية الدراسة		8
1-7 مجتمع الدراسة وعينتها والاجراءات المنهجية		11
1-8 مبادىء الدراسة ومصطلحاتها		14
1-9 إجراءات الدراسة		17
1-10 الدراسات السابقة والتعليق عليها		18
1-11النظريات والتعقيب عليها		28
الفصل الثاني: الشركس والشيشان		
2-1 الشركس: التاريخ والثقافة		33
2-2 الشيشان: التاريخ والثقافة		37
2-3 إنشاء القرى الشركسية		40
2-3-1 عمان		41
2-3-2 وادي السير		43
2-3-3 ناعور		44
2-3-4 جرش		45

2-3-5 الرصيفة		45
2-4 إنشاء القرى الشيشانية		46
2-4-1 صويلح		46
2-4-2 الزرقاء		46
2-4-3 السخنة		47
2-4-4 الأزرق		48
2-5 علاقات الشركس بالمجتمع المحلي في الأردن		49
2-5-1 اللغة		52
2-5-2 العادات الاجتماعية عند الشركس والشيشان		53
2-5-3 الأنشطة الاقتصادية الشركس		57
2-5-4 الزراعة		58
2-5-5 تربية المواشي والأغنام		61
2-5-6 الصناعة		61
2-5-7 التجارة		63
الفصل الثالث: الدراسة الإثنوغرافية		
3-1 هجرة الشركس والشيشان		67
3-2 التراث المشترك بين الشركس والشيشان		71
3-3 تقاليد الزواج		73
3-4 اللغة		82
3-5 الزي واللباس		85
3-6 الطعام والغذاء		87
3-7 العلاقات الاجتماعية		88
3-8 التعليم عند الشركس والشيشان		93
3-9 التراث والمتاحف		95
3-10 كيف استفاد الشركس والشيشان من التكنولوجيا؟		96
الفصل الرابع: المناقشة والتحليل والنتائج		
4-1 المناقشة والتحليل		99
4-2 النتائج		106
4-3 الخاتمة		111

4-4 المصادر والمراجع		113

الفصل الأول

الإطار المنهجي

1-1 المقدمة.

1-2 مشكلة الدراسة.

1-3 أسئلة الدراسة.

1-4 أهداف الدراسة.

1-5 أهمية الدراسة.

1-6 منهجية الدراسة.

1-7 مجتمع الدراسة وعينتها والاجراءات المنهجية.

1-8 مبادىء الدراسة ومصطلحاتها.

1-9 إجراءات الدراسة.

1-10 الدراسات السابقة والتعليق عليها.

1-11 النظريات والتعقيب عليها.

1-1 المقدمة

تُعد الثقافة شكلًا من أشكال الإبداع لما تشتمل عليه من أبعاد روحيَّة وفكريَّة، وقيم، وتقاليد، وأنماط السلوك والحياة، والفنون والأدب والأدوات التقنيَّة. ويشكّل "التراث الثقافي"، بشقيه الماديّ وغير الماديّ، العناصرَ الأساسيَّة للهويَّة والتماسك الاجتماعيّ بين المجتمعات والأقليَّات المختلفة في البلاد؛ ولذا لا بد أنْ للأقليَّات العِرقيَّة التي عاشت وتعايشت جنبًا إلى جنب مع السكان المحليين على ثرى الأردن سنين طويلة، موروثًا حضاريًّا، وإسهامًا ثقافيًّا في التجربَّة الإنسانيَّة التي تشكّلت من خلال تفاعلهما؛ ليطال منها الهويَّة الأردنيَّة التي تمارس من خلال العادات والتقاليد ضمن التراث الأردنيّ. وبذلك فإنَّ المجتمع الأردنيّ يُعدّ مُجتمعًا فسيفسائيًّا تمكّن عبر تاريخه الماضي والحديث من تكوين هوية جامعة تتّسم بالتنوّع الثقافي، وهو ما يفسّر ماهية سلوكياتنا الحاليَّة.

وعلى الرغم من صغر الرقعة الجغرافيَّة للأردن إلا أَنَّه يضمّ مجتمعًا متعدّد الأصول والمنابت. نوّعت تركيبته السكانيَّة، فنجد أّنَّ هنالك تنوعًا ثقافيًا وعرقيًا ودينيًا شكّل المجتمع الأردني وأطَّر هويته الحاليَّة. ويكشف السيَّاق التَّاريخيّ الاجتماعيّ للمجتمع الأردنيّ عن حضور للأقليَّات العرقيَّة في التركيبة المجتمعيَّة لا يمكن تجاوزه.

بدأ هذا التنوّع الثقافي مع تأسيس إمارة شرق الأردن عام 1921م، وتشكيل نواة الدَّولة الأردنيَّة، إذ أسهمت جميع القوميات التي تعيش على الأرض الأردنيَّة: العرب، والشركس، والشيشان، والأكراد، والأرمن، في إرساء بناء الدَّولة الأردنيَّة المعاصرة، وفي بناء الشخصيَّة الوطنيَّة الأردنيَّة، في الوقت الذي احتفظت فيه كل قوميَّة بخصائص ثقافتها وسماتِها من حيثُ اللُّغة، والدين، والعادات والتقاليد، والفلكلور، والفنون، واللّباس، والطّعام، والطقوس الاجتماعيَّة والدينيَّة، وممارستها بكل حريَّة، سواء في إطار مجتمعها القومي المحدود، أو في إطار المجتمع الأردنيّ بشكل عام.

وقد بُني هذا الامتزاج المتناغم على قاعدة قبول الآخر واحترامه، الذي شكّل المجتمع والدّولة الأردنيَّة بجميع جوانبها، فشارك الجميع في تدعيم أركان المجتمع والدّولة. وكانت الأنظمة والقوانين الداعمَ الرئيسَ في تحقيق ذلك؛ إذ حثّت على قَبول الآخر والانفتاح الثقافيّ.

والأقليَّة جماعة بشريَّة تختلف عن الأغلبية في واحد أو أكثر من المتغيّرات التالية: الدَّين، واللُّغة، والثَّقافة، والسلالة.

والأقليَّات في الأردن مختلفة عنها في أنحاء من الوطن العربي، فكثير ممن ينتمون إلى الأقليَّات كان إسهامهم عميقًا وجذريًّا في مختلف مؤسسات الدَّولة، من دون أنْ يثير أحد هؤلاء أيَّ أسئلةٍ من أيّ نوع. هذه النظرة التي لا تفرّق بين مواطن وآخر بسبب المذهب، أو العرق، أو القوميَّة، أو الدّين، هي التي جعلت تعبيرًا مثل الأقليَّة، يبدو إلى حدّ كبير محض تعبيرٍ وصفيّ يشير إلى العدد ونسبته، ولا علاقة له بالحقوق أو الواجبات من قريب أو بعيد؛ فالأردنيون أمام القانون سواءٌ حسبما جاء في الدستور الأردني.

ويقدَّر عدد سكان الأردن بنحو عشرة ملايين نسمة، معظمهم من العرب المنحدرين من قبائل هاجرت إلى المنطقة على مر السنين، إضافة إلى ذلك، هناك الشركس الذين هم من أحفاد اللاجئين المسلمين جراء الغزو القيصري الروسي للقوقاز في القرن التاسع عشر، ويوجد الشيشان الذين يشكلون مجموعة أصغر مقارنة بالشركس. وثمة أعداد قليلة من الأكراد والدروز والأرمن والبهائيين.

يشار إلى الأردن الذي يشهد تنوعًا عرقيًّا ودينيًّا، بوصفه حالةً متقدمةً في تجانس التركيبة الاجتماعيَّة، وصهر الفوارق في مكوّناتها، دون مسّ بحرية العقيدة الدينيّة، أو حرية تكوين

الجمعيات، أو حرية التعليم أو الحق بالعمل. فأبناء الأقلّيات، يتحركون في الفضاء العام من دون أن يواجهوا مشكلات الهويّة المركّبة، أو تعدّد الولاءات، أو ازدواجيتها، وتشارك فِرقهم الفولكلورية في المهرجانات الثقافيَّة والفنيَّة، لتعبّر عن موروثهم في إطارٍ من الخصوصيَّة التي تُغني المشهد، وبما يحقق المثاقفة مع بقية المكونات، انطلاقًا من الوعي بأهمية دمجِ المكونات المختلفة، وصهرها لتصل إلى الدّرجة الكافية من الاتفاق مع محيطها المتنوع[1].

لم تتوافر لدينا إحصائيات دقيقة عن أعداد الأقليات العرقيَّة في الأردن؛ إلا إنَّ الإحصائيَّة التقريبيَّة للشراكسة عند قدومهم إلى الأردن خلال العهد العثماني يقدّر ما بين 15–17 ألف نسمة، وقُدِّر عددهم حتى عام 2009 بين 150– 130 ألف نسمة (مامسر، 2009م).

أما الشيشان؛ فقد قُدِّر عددهم عند قدومهم بحوالي 8776 نسمة، بينما يُقدّر عددهم حاليًّا بحوالي 15 ألف نسمة (البشايرة، 1999م) .

ويعود هذا التنوّع في التركيب الاجتماعيّ تاريخيًّا إلى ما قبل تأسيس الدَّولة الأردنيَّة، التي تشكّلت وكوّنت كيانها السياسيّ والاجتماعيّ من المجموعات المحليَّة التي كانت تقيم في المنطقة أساسًا، ومن الجماعات المهاجرة من بلدانها الأصليَّة بفعل الحروب وغيرها من العوامل.

وتتّسم كل جماعة من الجماعات الوافدة بسمات خاصة في تراثها الثقافي، وهو ما نشأ عنه تنوّع ثقافيّ شكّل الإطار العام للهوية الجَماعية للتراث الثقافيّ في الأردن. ويمكن ملاحظة هذا التنوّع في عموم مناطق الأردن، حتى داخل المنطقة نفسها أو المدينة أو القريَّة. ويعكس هذا التنوع تاريخ مختلف الجماعات التي عاشت إلى جانب مجتمعات الأغلبيَّة.

1. https://www.alfaisalmag.com/?p=3992

إنَّ مفهومَ التنوّع هنا ليس واحدًا من التقسيم؛ بل هو وحدة واحدة من الهويات المتميّزة التي تعيش معًا في وئام واحترام متبادل.

كما أَنَّ التراث الثقافيّ بشقيه الماديّ وغير الماديّ يُعتبر جانبًا مهمًّا ومتكاملًا للهويَّة الثقافيَّة الأردنيَّة، وقيمةً أساسيةً للمجتمعات المحليَّة. والحفاظ على هذا التراث الثقافيّ يشكّل جزءًا من المحافظة على التنوّع الثقافيّ، والمرونة المجتمعية، ويشجّع الاحترام المتبادل لأساليب الحياة المختلفة لجميع الفئات، وهو إرث ثمين للثقافة الأردنيَّة الواسعة، وحماية للأجيال القادمة، والتزام مشترك يسهم في تعزيز الهويَّة الوطنيَّة المشتركة.

1-2 مشكلة الدراسة

يشكّل التراث الأردنيّ الشامل صورة متكاملة ومتنوعة الأطياف، لتنوّع الجماعات المؤثّرة فيه، حتى غدا صورة زاهية الألوان بهيجة المنظر لكل من يراها. وستسهم الدراسة الحالية في الكشف عن تأثير الأقليَّات العرقيَّة في تشكّل التراث الثقافيّ الأردنيّ، ودورها في تنوّعه، من خلال دراسة مجموعات الشركس والشيشان، وتحليل طرق تعايشهم في إطار المجتمع الأردنيّ وثقافته.

وتأتي هذه الدراسة معزّزة للجهود التي تتكاتف حاليًّا من خلال المؤسسات الحكوميَّة والمدنيَّة للتركيز على حماية الموروث الحضاريّ الأردنيّ، بشقّيه الماديّ وغير الماديّ عن طريق برامج متخصّصة بالتوعية والتثقيف، وغالبًا ما تكون هذه المشروعات والخطط التوعويَّة عامّةً، ولكن قلّما نجد ضمنها برامج تعمل على التعريف بموروث الجماعات المختلفة والأقليَّات التي تشكل جزءًا من نسيج المجتمع الأردنيّ. لذا فإنَّ هذه الدراسة سوف تتناول الإسهامات التي قدَّمتها هذه الجماعات، للحفاظ على الموروث الأردنيّ، وللتعرّف إلى موروث هذه الأقليَّات، وحفظها للأجيال القادمة، وتعميق الانتماء للوطن، من خلال التعريف بهذا الموروث وتحديد هويته، إضافة إلى تغيير نظرة بعض أبناء مجتمعنا السلبية، التي تميل نوعًا ما إلى التحيّز والعنصريَّة، ولذا كان لزامًا أن نتطرّق بشكل أساسيّ إلى تسليط الضوء على التنوّع الثقافيّ والعرقيّ في مجتمعنا الأردنيّ.

1-3 أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التاليَّة:

1. كيف ظهرت الاقليات في الاردن وهل تأثّرت الأقليَّات وأثّرت في الثقافة المحليَّة للمجتمع الأردنيّ؟ وما أشكال ذلك؟

2. هل ثمة اندماج أو نقل لبعض عناصر التراث الثقافيّ الخاصَّة بالأقليَّات إلى التراث الثقافيّ المحليّ؟ وكيف حدث ذلك؟ وما تلك العناصر وأبرز تجلياتها؟
3. هل كانت عملية النقل حرفيَّة أم حُوِّرت بما يتوافق وسمات الثقافة المحليَّة؟
4. كيف أسهم التراث الثقافيّ للأقليات وتمثيلاته في تشكّل ملامح الهويَّة الثقافيَّة للمجتمع الأردنيّ؟
5. كيف تعمل السياسات الثقافيَّة الحكوميَّة على احترام قيم التنوّع الثقافيّ والحفاظ على تراث الأقليَّات وإبرازه؟ وهل ثمة تشريعات تكفل تحقيق ذلك؟
6. هل وُظِّفت رموز التراث الثقافي للأقليات لأغراض سياسية؟ وما تجلّيات ذلك؟
7. هل ما تزال الأقليَّات العرقيَّة قادرة على إعادة إنتاج هويتها والمحافظة عليها؟

1-4 أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1) إظهار التنوّع الثقافيّ الأردنيّ وتأثير الأقليَّات التي استقرّت في الأردن بفعل الهجرات – أيًّا كان نوعها – في هذا التراث، وشكّلت مزيجًا من تراث ثقافيّ ماديّ وغير ماديّ جديد.
2) إظهارأثر الأقليَّات في تشكُّل المجتمع الأردنيّ المعاصر، وفي مختلف مظاهر الحياة المدنيَّة والريفيَّة.
3) المحافظة على تراث الأقليَّات واستدامته للأجيال القادمة.
4) إثراء المكتبة العربيَّة بدراسة تساعد الباحثين في التأريخ للأقليَّات في الأردن.
5) إظهار دور وزارتي الثقافة والسياحة والآثار في إبراز تراث الأقليَّات من خلال المتاحف والمعارض، ولكي تتمكّن الوزارتان من تسويق المعالم التراثيَّة لهذه الأقليَّات كمناطق جذب سياحيّ، ولإظهار التنوّع الثقافيّ والإثنيّ في الأردن.

6) التوعيَّة عامّة بتراث الأقليَّات وموروثها الحضاري الماديّ وغير الماديّ؛ لتعميق أسس التضامن المجتمعي ومفاهيمه.

7) الانفتاح الثقافيّ من خلال النظر بعين الاعتبار التنوّع المتجذّر منذ القدم في مجتمعنا.

1-5 أهمية الدراسة

يُلاحظ من خلال الاطّلاع على الأدبيات المتعلّقة بمشكلة البحث شحٌّ كبيرٌ في الدراسات المختصّة برصد التأثير الثقافيّ الذي أحدثته الأقليَّات، ومدى مساهمتها في تطوير هويَّة التراث الثقافيّ أو تشكيله في الأردن، إذ يغلب على الدراسات التي تناولت الموضوع تركيزها على التاريخ العام للأقليات، أو عوامل هجرتها إلى الأردن.

فضلًا عن أَنَّ مسألة دراسة الأقليَّات العرقيَّة وتأثيرها بالمجتمع لا يزال يشوبها الغموض وعدم التحرّر بالحديث عنها، بل إنَّها مسألة مثيرة للجدل عند بعض الباحثين؛ ولذا فإنَّ الحديث عن إبراز دور الأقليَّات من الممكن أنْ يبسِّط المفهوم، ويجعله متداولًا بالنظرة الإيجابيَّة.

1-6 منهجية الدراسة

إنَّ المعلومات التي وردت في هذه الدراسة جمعت بإستخدام كافة الأساليب الأنثربولوجيَّة الميدانيَّة وغير الميدانيَّة التي كانت مرتبة حسب مواعيد ومراحل محددة، وقد تم الإلتزام بالبرنامج الموضوع لجمع المادة الإنثوغرافيَّة لتفادي ضياع الوقت، وكانت الملاحظة بالمشاركة هي المنهجيَّة الأساسيَّة المعتمدة في جمع المعلومات، فعمدت منذ البداية إلى ملاحظة وتدوين الأحداث الاجتماعيَّة كما تحصل على أرض الواقع من خلال معايشة هذه الأحداث في منطقة الدراسة وتعمد التواجد في بعض الأماكن التي توفر إمكانية أفضل لرصد الظاهرة موضوع الدراسة مثل المشاركة في

البازارات والأنشطة التي تقوم بها هذه الجماعات في فضاءاتهم الرسمية مثل الجمعيات الخيرية المنتشرة في أكثر من منطقة.

وقد استمرت فترة البحث الميدانيّ حوالي عشرة أشهر متواصلة، أنصَبَّ الجهد خلالها على بناء الكثير من العلاقات الاجتماعيَّة مع بعض الأسر الشركسيَّة والشيشانيَّة، وتمكنت من توطيد هذه العلاقة واكتساب ثقتها، الأمر الذي ساعد في تحصيل مزيد من المعلومات والتفاصيل من الأشخاص ذوي العلاقة،إذ اعتمدت الباحث فيهذه الدراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ، اعتمادًا على عدد من البيانات المجموعة بالطرق الآتيَّة:

1- قراءة نظريَّة في عدد من الأدبيات كالكتب والمجلات التي تعالج القضايا الخاصة بالموضوعات التي ذكرت، لتحليلها واستنباط الممارسات الخاصَّة بهذه الأقليَّات في ظل وجودها في هذه المنطقة.

2- المقابلات الشخصيَّة مع بعض ممثلي المؤسسات والجمعيات الخيرية الخاصَّة بالمجموعات العرقيَّة موضوع البحثواعتمدت المقابلات الشخصيَّة التي أجريتها على عدد من الأسئلة التي قمت بإعدادها وصياغتها مُسبقاً لتكشف بشكل منظم ودقيق ملامح وأشكال الحياة في المجتمع عينة الدراسة، ومن الجدير بالملاحظة أَنَّ الكثير من الأسئلة والملاحظات كانت تطرأ من خلال إجراء المقابلات الشخصيَّة،إذ كانت تثار حولها نقاشات موسعة وهو أمر سلط الضوء على زوايا جديدة لم تكن مطروقة سابقاً ولم تخطر في ذهنالباحثة وهذا ما دعا إلى التعمق في الموضوع.

حاولت طوال فترة البحث الميدانيّ زيادة مساحة المشاركة الفاعلة في مجتمع الدراسة وذلك من خلال تكثيف الزيارات الميدانيَّة للأسر وأقاربهم الذين كانوا في نفس المنطقة الجغرافيَّة ثم بدلوا سكنهم وقمت بإجراء مقابلات مطولة زادت في الكثير من الأحيان عن المعتاد حاولت من خلالها

تغطية جميع الأفراد المعنيين داخل الأسرة فكانت المقابلات موزعة على كل فرد من أفراد العينة في العائلة.

لقد تم الحرص خلال هذه المقابلات على إيجاد جو من المودة والألفة مع ربات البيوت والطاعنات منهن بالسن وتكوين صداقات معهن في محاولة الباحثة لكسب ثقتهنَّ، والحديث بشكل معمق عن جوانب الحياة الاجتماعيَّةوتمكنت بالتالي الحصول على المعلومات بطريقة سلسة وممتعة.

3- الملاحظة بالمشاركة مع عيّنات من الجماعات العرقيَّة موضوع البحث، منذ بداية شروع الباحثة بالعمل الميداني عمدتُإلى تسجيل معظم الملاحظات التي تفيد البحث من خلال مواظبة الباحثة على حضور الكثير من المجالس الاجتماعيَّة المترتبة من قبل المخبر وخاصة تلك التجمعات التي كانت تعقد في الجمعيات من بازارات خيريَّة أو احتفالات بمناسباتهم الخاصَّة ومن هنا فقد كان العديد من الأشخاص يسهبون في سرد الكثير من القصص والأحداث خصوصًا في المناقشات التي كانت تتم في المجالس إضافة إلى شكل التعامل بين أفراد الأسرة نفسها من خلال ملاحظة تفاصيل الأحداث الاجتماعيَّة اليوميَّة كما تحدث على أرض الواقع،ووفرت بعض هذه الزيارات للباحثة الفرصة في إجراء الكثير من المقابلات بهدف وضع اليد على التحديات التي واجهتها في التعايش في الوطن الجديد، ومعرفة مدى محافظتها على العادات والممارسات الثقافيَّة الخاصَّة بها.

4- مشاهدة الأفلام الوثائقية ذات الصلة، والتي كانت متوفرة على مواقع الانترنت والتلفزيون الأردنيّ والذي عزز لدى الباحثة القناعة بدور الأردن الداعم لوجود هذه الاقليَّات والحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات اللاّزمة.

5- المكالمات الهاتفيَّة مع الشخصيات عينة الدراسة، حيث صدف إنَّ البعض من هذه الشخصيات ليس لديهم الوقت للإلتقاء بهم فاكتفيت بالمكالمة الهاتفيَّة للتوضيح والتحقق من بعض الأمور.

1-7 مجتمع الدراسة وعينتها والاجراءات المنهجية

تم اختيار مجموعات الشركس والشيشان مجتمعًا للدراسة كحالةٍ؛ لغنى التراث الخاص بكلّ منهم، والملموس نوعًا ما لغاية الآن.

كما أجريت المقابلات والجلسات في حدود الجمعيات ومؤسسات المجتمع المدنيّ والبيوت وأحيانا ديوان العائلة، التي تمثّل كل أقليَّة من تلك الأقليَّات،واختيار عيّنة للدراسة مكوّنة من عشرين شخصيَّة من الذكور والإناث لكل مجموعة، إضافة إلى التواصل مع كبار السن من هذه الجماعات للإستزادة من المعلومات التَّاريخيَّة.

- تم اختيار الاشخاص للمشاركة في المقابلات من مجتمع الشركس والشيشان حسب معايير العمر، وقد ارتأت الباحثة أنْ يكون للبالغين من سنّ (18) سنة حتى سنّ (50)، على أن تغطي هذه الفترة الشباب والجيل الأوسط، ممن هم فوق (45) عامًا، حتى الستين من العمر. أما الشريحة الأخيرة فهم من سنّ (60) سنة فما فوق.

- روعي أن يكون الافراد الذين تمت مقابلتهم من المتزوّجين والعزاب، من كلا الجنسين الذكر والأنثى، والتنويع في التحصيل العلميّ والوضع المهنيّ.

- تمت المقابلات في عمّان، في المناطق التالية: منطقة صويلح، ومنطقة وادي السير، ومنطقة بيادر وادي السير،ومنطقة الدوار السابع مقر الجمعية الشركسية؛ إذ تحتوي هذه المناطق على أكبر تجمّع لهاتين الفئتين.

- امتدت أوقات المقابلات بين ساعة واحدة إلى ساعة ونصف، ولم تتجاوز أكثر من ذلك . ويختلف زمن المقابلة بحسب الشخصية المراد مقابلتها وإجراء الحوار معها وعمرها ومدى ارتياحها للحديث، حتى لا تثقل عليهم المقابلة. تم تفريغ المقابلات للتحليل لاحقا.

- من باب احترام الخصوصيَّة فقد استبدلت الأسماء الحقيقية للأشخاص الذين تمت مقابلتهم برموز من تلك الأسماء، إلّا من أعطى الإذن مسبقًا للباحثة بذكر اسمه.

- تم الاعداد لمقابلة"مجموعات تركيز"**(Focus Group)** أحدها تم في السخنة، تتكوّن من تسعة أشخاص. وهؤلاء التسعة هم من الذكور والإناث، يجمعهم رابط ثقافيّ واجتماعيّ موحّد؛ فهم ينتمون إلى أسرة واحدة، كانوا قد استوطنوا منطقة السخنة بالزرقاء، ثم انتقلوا إلى منطقة صويلح، ولكنهم وجدوا أن الحياة لا تناسبهم، فقفلوا عائدين إلى السخنة، للمحافظة على تراثهم.

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أن الأمانة العلميَّة تقتضي ذكر اسم الشخص المقابَل، وتاريخ المقابلة ومكانها. إلا إنَّ حساسيَّة الموضوع جعل الباحثة تستبعد ذكر أسماء من أجريت معهم المقابلات كاملة، مكتفية بذكر الأحرف الأولى من أسمائهم، إلا من أذن للباحثة بذكر اسمه الأول أو كاملًا وعليه فإنني وجدت أن أكتب ولو نبذه بسيطة عن أول شخصيَّة إلتقيت بها وكانت هي من تسهل للباحثة مهمة التواصل مع أفراد العينة من الشيشان.

تمت جميع المقابلات بتنسيق من السيدة سيمونا فايز مراد الشيشاني التي تنتمي إلى عائلة "ساكو" الشيشانيَّة.

- العمر: 49 عامًا.
- التعليم: حاصلة على دبلوم شريعة إسلاميَّة.

- الحالة الاجتماعيَّة: متزوّجة ولديها خمسة من الأولاد.
- الوظيفة: ربة منزل.
- مكان السكن: الحيّ الشرقي من بلدة صويلح.
- وصف المسكن: يقع على مكان مرتفع، ويتألّف من طابقين: الأول مفرّغ تمامًا، ويستغلّ للمناسبات الاجتماعيَّة الخاصّة بالعائلة، لتوفير مجال من الرَّاحة والاستقلاليَّة عن الوحدة المنزليَّة التي تشغلها العائلة. كما تستخدم أيضًا لبعض أعمال الصيانة من حدادة ونجارة، إذ إنَّ أغلب الشيشان بارعون بهذه الأعمال بأنفسهم.

عندما ترى البيت فإنك تشعر بدفء وحميمية تبعث على الراحة النفسيَّة، فالبيت محاط بالأشجار المثمرة، كالفواكه والزيتون والعنب. شرفته الأماميَّة مستطيلة الشكل، مزدانة بأشجار الزينة والنباتات المنزليَّة المزروعة بقوارير بلاستيكيَّة ذات ألوان زاهية. ودائمًا ما تكون هذه الشرفة مكانًا يجمع العائلة للتسامر، وملاذًا لربة البيت تجتمع فيه ورفيقاتها يتجاذبن أطراف الحديث، في أصبوحة نسائية تجمع الجارات أو الصديقات، أو في فترة ما بعد العصر.

- اللقاء الأول: تميّز بالحميمية وكثرة الترحاب من قبل السيدة سيمونا، وأفراد العائلة. الأولاد على قدر كبير من الأدب الجمّ، فبدا عليهم الحياء والخجل بسبب احساسهم بأَنَّ الباحثة زائرة جديدة لهم وغريبة عنهم؛ لكنهم سرعان ما كانوا يتراكضون لتقديم أية خدمة، ويبادلوها الابتسامات فقط، دون الحديث بحريّة.

1-8 مبادئ الدراسة ومصطلحاتها

تقيّدت الباحثة بجميع أخلاقيات البحث العلميّ والأمانة العلميَّة في أدق تفاصيل العمل، وأهمها:

1- الاجتهاد في تقديم الملاحظة العميقة خلال العمل الميدانيّ، لإلتقاط المعاني والمقاصد والغايات المقصودة.

2- الخطاب المباشر وتحليل الخطاب الكامن في ردود الأفعال التلقائيَّة للمبحوثين.

3- التركيز على الموضوعيَّة والحياديَّة، بعيدًا عن أي إسقاطات ذاتيَّة الحكم.

4- التعامل مع كلّ الظواهر بعين الموضوعيَّة وبمعزل تامّ عن الخبرات والأحكام السابقة.

5- تجنّب مظاهر الانبهار بالجديد من المعلومات.

6- عدم إحداث تأثيرات مقصودة في أفراد عيّنة الدراسة.

مصطلحات الدراسة:

1- الأقليَّات :

تعرّف الأقليَّات في الموسوعة البريطانيَّة على أنَّها جماعات من الأقوام تختلف عن غيرها ممن يعيشون بالمجتمع نفسه وباللُّغة أو بالدّين أو العرق أو القوميَّة.

أمّا الموسوعة الفرنسيَّة (لاروس) فقد عرّفت الأقليَّة على أنَّها تلك الجهة التي تكون أقل هيمنة وسطوة من غيرها من حيث العددية .مفهوم الأقلية وتعريفها في المواثيق الدولية[2].

أما الأقليَّات العرقيَّة في الأردن، فقد عُرِّفت كما يلي: يتكون النسيج الاجتماعيّ الأردنيّ من مجموعات بشريّة مختلفة المذاهب والديانات والأصول، لكن ما يشكّل الأغلبيّة العظمى في المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة هم الأردنيون العرب، الذين يشكّلون 98%، أمّا الباقي فهم من أعراق أخرى (النوايسة، 2012م).

2.http://www.ahewar.org/m.asp?i346.

وهذا هو التعريف الإجرائي الذي ستعتمده الباحثة في هذه الدراسة حيث تميل الباحثة إلى تعريف الأقلية أنهم تلك المجموعة التي تختلف عن غالبية السكان من حيث أصولهم وقوميتهم.

2- الشركس: يطلق اسم الشركس على شعوب القوقاز، الذين تمتد أراضيهم بين البحر الأسود وبحر قزوين، وهي ذات طبيعة جبلية ومناخ قاسٍ، وتضم هذه الشعوب عددًا من القبائل، مثل: الأديغة، والأوباخ، والشيشان، والداغستان.

ويرى العبودي، ويؤيده في ذلك بقاعي، أن اسم الشركس مأخوذ من "سركس"، وهو تحريف للاسم "جيكس"، أو "جيكت"، الذي أطلقه عليهم المؤرخ سترابون، وكذلك تحريف للاسم "سرست"، أو "كركس"، الذي سماهم به المؤرخ بليني (العبودي، 1999م، ص13؛ بقاعي، 2014م، ص16).

3- الشيشان: ينسب الشيشان إلى قرية تشيتشين (**Chechen**)، الواقعة على نهر الأرغون جنوب العاصمة غروزني، إذ أطلقه عليهم الروس خلال الحرب بينهما عام 1708م. وتمتد بلاد الشيشان من بحر قزوين شرقًا حتى البحر الأسود غربًا، ومن نهري كوما وكوبان شمالًا إلى نهري كورا وريفون جنوبًا (البشايرة، 1999م).

وترى الباحثة بأنَّ تعريفهم إجرائيًّا بأنهم أولئك الشعب الذين كانوا يسكنون بلاد الشيشان في القفقاز وهاجروا إلى الأردن واستقروا فيها بغية الحفاظ على دينهم – كون الدين الإسلامي يرتبط ارتباطا وثيقا بالعرب وذلك نسبة لسيدنا محمد –عليه الصلاة والسلام– كونه عربي (حسب إجماع العينة المقابلة)، وكذلك نسلهم وأولادهم الذين بقوا في الأردن واندمجوا في المجتمع الأردني.

4- التراث الثقافيّ الأردنيّ:

عرّفت اليونسكو التراث الثقافي غير الماديّ (المعنويّ) بأَنَّه: "الممارسات والتصوّرات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات، وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافيَّة، التي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحيانًا الأفراد، جزءًا من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي غير الماديّ المتوارث جيلًا عن جيل، تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمّي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها، ويعزّز من احترام التنوع الثقافيّ والقدرة الإبداعيَّة البشريَّة". انظر: اتفاقية "صون التراث الثقافي غير المادي (المادة 2: التعاريف)" **"Convention for the Safeguarding of the Intangible Cultural Heritage" (UNESCO, Paris, 17 October 2003**

وبإيجاز كليّ التراث هو: "مجموعة الأساليب الثقافيَّة التي تحافظ بواسطتها "الجماعة" أو "الشعب" أو "الأمة" على هويتها، وأسلوب حياة سكانها، وتنقّلها للأجيال اللاحقة".

ويعرّف الباحث جلال مفهوم التراث بأَنَّه:"معنى شامل لكل ما هو موروث من ثقافات تشتمل على قيم، وتقاليد، ورؤى، وهذا لا يعني انتماءه للماضي فقط، أي أَنَّه حدثٌ ماضٍ؛ بل إِنَّه امتداد ثقافي يعايش العصر، وينفذ في حياة المعاصرين فيكون له أثر في الحياة السياسيَّة، والاجتماعيَّة، والثقافيَّة، والروحيَّة، والتعامل مع البيئة المحيطة عمرانيًّا" (جلال، ١٩٩٥م).

ويعرّف التراث الثقافيّ الأردنيّ إجرائيًّا في هذه الدراسة بأَنَّه: كل ما ورثته مكوّنات المجتمع الأردني من قيم، وتقاليد، ورؤى، تمارس وتؤثر في حياتهم السياسيَّة، والاجتماعيَّة، والثقافيَّة، والروحيَّة، والعمرانيَّة.

1-9 إجراءات الدراسة

استندت الباحثة نظريًّا في هذه الدراسة على قاعدة معرفيَّة علميَّة من أهمّ النظريات والأبحاث وأوراق العمل والمقالات المنشورة، التي تناولت قضايا الأقليَّات والظواهر الاجتماعيَّة المرتبطة بها، كما استخدمت المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ في تحليل نتائج العمل الميدانيّ.

جدولت الباحثة وخططت ونفّذت للعمل الميدانيّ الذي يتضمّن زيارات ميدانية للمبحوثين، والاستعانة بروابط وصل (مخبرين) = (**Informant**) من داخل مجتمع الدراسة، لبناء جسر من العلاقات الاجتماعيّة بينهم وبين الباحثة، أدّت إلى بناء جسر من الثقة مع الأفراد الذين عملوا على تسهيل مهمة جمع البيانات وإجراء المقابلات، بأعلى المستويات من المصداقيَّة والحياديَّة الممكنة. وقد جمعت البيانات المتعلقة بالبحث عن طريق الملاحظة بالمشاركة، وجلسات التركيز، والمقابلات شبه الموجّهة، حيث استخدمت العينة القصديَّة في اختيار المشاركين في عملية جمع البيانات، وشملت الدرجات العمريَّة والاجتماعيَّة والمستويات العلميَّة؛ مما ساعد على تقديم معرفة علمية مبنية على مواقف وتجارب وخبرات حقيقية لأفراد عيّنة الدراسة.

امتدّ العمل الميداني للبحث مدة (10) شهور تقريبًا، حيث بدأ العمل في شهر تشرين الثاني وكانون الأول 2018م بإجراء زيارات تمهيديَّة متخصّصة لبعض الشخصيات من الشركس والشيشان، وطرحت فكرة الدراسة عليهم، لمعرفة مدى تقبّلهم لفكرة البحث، وأجريت تلك المقابلات في منطقة بيادر وادي السير، وأجري بعضها في الجمعية الشركسية بعمان، وأجري قسم ثالث في صويلح في بيت أحد الشخصيات، وفي ديوان العائلة.

وفي شهري شباط وآذار 2019م أخذت المقابلات نوعًا من التعمّق، فقد جرى ترتيب المقابلات المعمّقة ضمن وحدات منزلية، ليكون اللقاء مع جميع الأفراد كلّ على حدة، ولتكون الدراسة تفصيلية أكثر، وبعيدًا عن الإحراج. وقد أجريت المقابلات وفق أسس علميَّة، ولكن من خلال حديثٍ سرديّ.

أما في شهري نيسان وأيار 2019م فقد فرّغت الباحثة المعلومات والبيانات التي حصلت عليها من المقابلات، والتي حصرت في موضوعات معيّنة، وبدأت بوضع خطة لسلسلة من المقابلات الأخرى لمجموعة جديدة من المقابلات، لتنفيذها في شهري تموز وآب، وقد رتِبت ستّ مقابلات وجلسات تركيز، وأجريت ثلاث من هذه الجلسات في جمعية آل ساكو، واثنتان في ديوان أرسلان، وواحدة في وحدة منزليَّة.

وبعد الانتهاء من تفريغ جميع المقابلات وترتيبها حسب الموضوع، رجعت الباحثة لمقابلة أشخاص متخصصين؛ للاستزادة من المعلومات التي جمعت والمصادقة عليها، ولمناقشة الملاحظات التي رصدت، فاختارت مدوّنًا تاريخيًّا معتمدًا ومتخصصًا بتوثيق التاريخ الشيشاني، واختارت أيضًا شخصيتين شركسيتين للهدف نفسه، أحدهما طبيب وناشط اجتماعي معروف، والآخر رئيس الجمعية الشركسيَّة، وكلاهما من الجيل الشركسيّ الثالث، بعد ذلك تم تجميع البيانات الميدانيَّة وتصنيفها ثم تحليلها للوصول إلى النتائج المتوقعة من الدراسة.

1-10 الدراسات السابقة والتعليق عليها

اطّلعت الباحثة على عدد من الدراسات – على قلتها – ناقشت موضوع الأقليَّات الإثنيَّة في المجتمع الأردنيّ، وتستعرضها فيما يلي:

1. كتاب علي محافظة (دراسات في تاريخ الأردن المعاصر،2005)، وتناول فيه تاريخ المملكة الأردنية الهاشمية منذ الفترات القديمة، وتطرّق للحضارات التي مرّت على الأردن، والتي أدت إلى وجود التنوّع الحضاري الذي يتّسم به الأردنيون، وتحدّث متسلسلًا من الفترة الكنعانيَّة، والآدوميَّة، والمؤابيَّة، والعمونيَّة،والأنباط وصولًا إلى الحكم الإسلاميّ، ومن ثم الفترة العثمانيَّة.

وصف محافظة المجتمعَ الأردنيَّ بأنَّه مجتمع بسيط مِضياف لدرجة كبيرة، ويتكوّن من عدة شرائح ذات أصول عرقيَّة متعددة، 40% منهم جاؤوا من أصل فلسطيني، و57% من أصل أردني من القرى والغور والبادية، و3% جاؤوا من أعراق أخرى، مثل: الشركس، والشيشان، والسريان، والأكراد، والأرمن.

ومن وجهة نظر محافظة فإنَّ حياة الأردنيين تتّسم بالبساطة والارتباط العائليّ القويّ، على الرغم من دخول بعض العادات الاجتماعيَّة الجديدة، والانفتاح على العالم إلا إنَّه لا زالت روح المودّة والاحترام ظاهرةً بشكل ملحوظ بينهم.

يتضمّن الكتاب تدوينًا وتقريرًا لملامح الأردن، وتوثيقًا للسمات العامَّة للمجتمع الأردنيّ، وتطرّق إلى التنوع العرقيّ والدينيّ فيه؛ لكن دون التركيز على الأقليَّات وثقافاتها.

2. أما دراسة إبراهيم القضاة (المجتمع الأردني شرائحه وعاداته وتقاليده، 2009) فقد جاءت للتعريف بالمجتمع الأردنيّ، من حيث شرائحه وعاداته وتقاليده، وقد قدّم فكرةً بسيطة عن هذه الشرائح وملامحها الاجتماعيَّة، فبدأ بالحديث عن الأردنيين من أصول فلسطينيَّة، وتناول بعدهم الشركس، والشيشان، والأكراد، والأرمن، والسريان،ويتألف الكتاب من ستة فصول: تضمّن الفصلان الأول والثاني معلوماتٍ عامةً ومقدمةً عن الأردن والمجتمع الأردنيّ وملامحه، أما الفصل الثالث فركّز على التقسيمات الإداريَّة، وقدّم نبذةً عن كل منطقة، وتحدّث عن العادات والتقاليد والقيم والمعايير.

وفي الفصل الرابع يبدو الكاتب وكأنه يفصّل عادات المجتمع الأردنيّ الحديث وسلوكيّاته، فتطرّق إلى الاختلافات بين الشرائح المكوّنة له.

أما في الفصلين الخامس والسادس فذهب الكاتب إلى الحديث عن العَمَالة، والتركيبَّة السكانيَّة، والمعايير الاجتماعيَّة، وأشهرالمأكولات الشعبيَّة، دون التطرّق إلى تأثير اختلاف الشرائح المكوّنة له.

ولقد تحدّث الكاتب عن التركيب الاجتماعيّ للأردن دون التطرق إلى الإسهامات التي قدّمتها الأقليَّات على المستوى الثقافيّ في هذا البلد، ولا إلى تأثيرهم في السكان المحليين.

3. دراسة جودت ناشخو (تاريخ الشركس: الأديغة والشيشان في لوائي حوران والبلقاء 1878–1920، 1998)، التي ذكرفيها أنَّ بعض القرى الخاصّة بالشركس – التي تشكّلت بعد انتهاء الحرب القوقازيَّة الروسيَّة – في جنوب ولاية سوريَّةوالتي كانت تضمّ حوران وشرقيّ الأردن وصولًا إلى الكرك، حيث نزح الشراكسة إلى الأراضي العثمانيَّة غير المأهولة، فسكنوا وعملوا على إنشاء قرى، ثم توسعت إلى مدن كبيرة تجذب الجميع للعيش فيها، حيث أثّرت هذه المدن في الثقافة الأصيلة داخل الأراضي في الأردن، وعملت على تطوير كبير في هذه الثقافات ونسق الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة.

أدّى تهجير الشيشان والشركس والداغستان إلى عدة مناطق مختلفة أن قدموا إلى الأردن –قبل قيام الدّولة الأردنيَّة – فأقام الشركس والشيشان في منطقة عمّان، فوقعت بعض المشاحنات بين الشركس والبدو القاطنين فيها، تعبيرًا عن رفضهم لوجود الشركس، ومحاولةً لمنعهم من الاستيطان في بداية الأمر، لكن الشركس عملوا بالتجارة وببيع المواشي، وبدؤوا بالاستقرار والزراعة؛ مما أدّى إلى تشجيع بعض العشائر الأردنيَّة البدويَّة على الاستقرار والعمل معهم، بتشجيع ودعم من السلطات العثمانيَّة.

لقد توسّع الكاتب في وصف الشركس، فأخذ بالحديث عن اللغة الشركسيَّة واللغة القفقاسيَّة، وعن بعض الملامح العامة لهم، فيقول: كان لكل عائلة شركسيَّة ختم خاصّ (وسم) بهم يطبعون به حيواناتهم وأسلحتهم وبيوتهم.

ذكر المؤلف كثيرًا من عادات الشراكسة وتقاليدهم، لكن ما قدّمه في مؤلفه هو الحديث عن كل ما يتعلّق بالشركس تاريخيًّا حتى وصولهم إلى الأراضي الأردنيَّة دون الوقوف على التحديات التي واجهتهم، وسبل التكيّف مع الوطن الجديد.

4. دراسة جورج داوود (السلط وجوارها 1864–1921، 1983)، تناول الباحث التاريخ المحلي لمدينة السلط منذ عام 1860م، وعالج بدراسة اجتماعيَّة متكاملة السكان، وتعدادهم، وانتشارهم، وتوزيعهم، وتركيبتهم الاجتماعيَّة. واهتمّ بالتطوّرات التي جرت على المجتمع السلطي، متنبهًا للتحوّلات التي طرأت في تلك الفترة على اقتصاديات المنطقة، ضمّت الدراسة عدة فصول:

الفصل الأول: تحليل ودراسة المصادر الخاصّة بالدراسة، وفيه وضّح أهمية كل مصدر.

الفصل الثاني: دراسة المنطقة جغرافيًّا، حتى يتسنّى للقارئ الإلمام بالتصوّر لمدينة السلط، وتناول الجانب الإداريّ والقضائيّ، من خلال استعراض الأنظمة والقوانين الإدارية، ومدى تطبيقها في واقع الحال.

الفصل الثالث: التقسيمات الإداريَّة في قضاء السلط، من حيث النواحي والقرى التابعة له.

درس الكاتب في الفصل الرابع الحياة الاجتماعيَّة، من حيث أديانهم، وطوائفهم، وعشائرهم، وأعدادهم، وتوزيعهم، وعلاقاتهم بعضهم ببعض، مركِّزًا على العائلات الوافدة إلى السلط ودورها في بنائها وعمرانها، وأهمها عائلات الأكراد، والشركس والأرمن.

أفادت الباحثة من الفصل الرابع في هذا الكتاب للحديث عن الأقليات التي وفدت إلى السلط مثل: الأكراد، وبعض عائلات الشركس والأرمن، يوضّح فيها هذه العائلات موثّقًا اسم العائلة وتاريخ قدومها.

ومن الجيّد الاطّلاع على هذه الأقليات في مدينة السلط ومقارنتها في التكيّف مع الحياة الجديدة في مدينة عمّان، مع العلم بأَنَّها، كما ذكر الكاتب، كانت هي الوجهة الأولى للشركس والشيشان، قبل تأسيس الدّولة الأردنيَّة، ومنها كان الانطلاق إلى باقي الأماكن، أما الأكراد فقد كانت السلط وجهتهم الأولى.

5. كتاب خالد الحمزة (التراث الشعبي التشكيلي في الأردن، 1997)، تحدّث فيه عن التراث الشعبيّ، الذي يعدّ النصف الثاني من التراث، حيث إنَّ التراث غير الماديّ أكثر عرضةً للاندثار، فتحدّث عن مختلف أنواع التراث الشعبيّ بالتفصيل الدقيق لجميع مكوّناته، بهدف التوثيق والمحافظة على هذا التراث مثل: التطريز، وصناعة الجلود والفرو، والخشب والخيزران، والزجاج. ولم يتطرّق الكاتب لذكر تاريخ هذا التراث وأصوله ونشأته.

وتكمن الإفادة من هذا الكتاب في التعرّف إلى معظم أنواع التراث الأردنيّ، في دراسة أصول هذه الأنواع، لمعرفة مصدرها أو مدى تأثّرها بالأقليات العرقيَّة الوافدة إلى الأردن.

6. كتابهوري عزازيان (الجاليات الأرمنيَّة في البلاد العربيَّة، 1993م)، الذي تحدّثت فيه عن الشتات الأرمني إثر مذبحة الأرمن الكبرى عام 1915م، والتي خلفت وراءها مليونًا ونصف المليون من الضحايا، وثمانمئة ألف من المنفيين، كانت وجهتهم الأولى سوريا، ومنها بدؤوا بالانطلاق إلى باقي البلدان العربيَّة.

بدأ الكتاب بالحديث عن تاريخ الأرمن خلال المدة الزمنيَّة الممتدة من العهود التاريخيَّة القديمة حتى مطلع القرن العشرين الميلاديّ. فذكر أَنَّ الشعب الأرمنيّ هو من الشعوب الهندوأوروبيَّة، وهو

مجتمع قبلي، وصلت أولى الهجرات الأرمنيَّة إلى الأردن عام 1915م إثر نكبتهم، وكان عددهم عشرين ألف منفيّ أرمنيّ، توزعوا في مَعَان، والبتراء، والكرك، والزرقاء.

تقلّص عدد الأرمن في الأردن عام 1948 إلى 6000 نسمة، وانخفض في الثلاثينات إلى 3000 أرمني من التجار والحرفيين. تأسّست أول مدرسة أرمنيَّة في الكرك سنة 1928، وأول مدرسة في عمان مدرسة هيتوميان ودير الأرمن الأرثوذكس عام 1933، كما تأسّس أول نادٍ رياضيّ في لهم في عمّان عام 1933م.

اهتمت المؤلفة بتاريخ الأرمن عامةً، وفي البلاد العربي خاصةً، وركّزت على العلاقات العربيَّة الأرمنيَّة، وذكرت جذورها من خلال مواقف عبر التَّاريخ؛ مما جعل الأرمن جاليةً مرغوبةً تحظى باحترام الشعب الأردنيّ حكومةً وشعبًا.

سهّل هذا الكتاب مهمّة الدراسة في البحث في عاداتهم وممارساتهم من خلال المهن التي عملوا بها.

7. كتاب عبدالله ارشيد (ملامح الحياة الشعبيَّة في مدينة عمّان 1878–1948، 2002م)، الذي عالج فيه تاريخ عمّان في الفترة الواقعة بين عامي 1878– 1948، من حيث النشأة والتطوّر وتأسيس الإمارة، لافتًا النظر إلى وصف الحياة التقليديَّة في عمّان، وتكوين الذات الأردنيَّة، طارحًا الهجرات التي قدمت إلى عمّان بشكل عام، واستيطان هذه المجموعات فيها وفي أطرافها، وتأقلمها مع المجتمع المستضيف.

جاء هذا الكتاب ليسدّ النقص الملحوظ بتوثيق تاريخ الأردن عامةً، ولم يطرح قضية الأقليَّات بشكل مفصل، بل تطرّق لها بذكر وجود هذه المجموعات ضمن التركيب والنسيج السكانيّ للمجتمع الأردنيّ، كما تطرّق لبعض أشكال التكيّف مع البيئة الجديدة، والإنجازات المرافقة في تطوّر مدينة عمّان، وبدا واضحًا إنجازات هذه الأقليَّات، وبخاصة الشركسيَّة منها، في تطوير معالم المدينة.

ذكر الكاتب حياة الناس وأسلوب معيشتهم وأنواع حرفهم وفنونهم الشعبيَّة، وهي التي شكّلت هويَّة المجتمع الأردنيّ القائم على التنوع الثقافيّ، بتعدّد الأصول والديانات في المجتمع الأردنيّ.

8. كتاب أمجد جيموخا (الشيشان في الأردن، 2005م)، وهو دراسة بشريَّة واقتصاديَّة مستفيضة عن الشيشان الذين هاجروا من جبال القوقاز إلى الأردن في مطلع القرن الحالي.

استند الكتاب في هذا الطرح على أسلوب البحث العلميّ من خلال المنشورات المتعددة وتحليلها، وقام بعدة مقابلات مع الشباب، وحصل على وثائق ومعلومات تاريخيَّة لم تنشر من قبل.

يتكون الكتاب من عدة فصول:احتوىالأول على مقدمة تمهيدية للموضوع، وجاء الثاني متناولاً تاريخ بلاد الشيشان والصراع الشيشاني الروسي. وأما الفصل الثالث فتطرّق إلى حركة النزوح والهجرة إلى الأردن وأسبابها.

تلمّس الكتاب الوضع السياسيّ للشيشان في الأردن، ومدى تأثرهم بالأحداث السياسيَّة والعسكريَّة في موطنهم الأصليّ، نتيجة إعلان جمهوريَّة الشيشان عام 1994 و1996 استقلالَها التامّ.

أما خصائص السكان والتركيبَّة الاجتماعيَّة فتطرّق إليها بإيجاز في الفصل الخامس، ووضّح الوضع الاقتصاديّ، وذكر في الفصل السادس توزيع القوى المنتجة على قطاعات الزراعة والصناعة.

وترك الكاتب فصلًا كاملًا للحديث عن الوضع الاجتماعيّ ومستوى التعليم والعادات الممارسة والموروثة عن الأجداد في الفصل السابع والأخير من الكتاب.

يركّز الكتاب هنا على دراسة عميقة وتاريخيَّة للشيشان وتوزيعهم في الأردن، وكيفية اندماجهم في الوطن الجديد، الذي مكّنهم من العيش والاستمرار، ولكنّه لم يتطرّق إلى موضوع الدراسة الحاليَّة بشكل رئيس، ولكنه سوف يعين الباحثة في استخلاص بعض الملامح لممارسات الشيشان في الأردن؛ لتحديد إسهاماتهم في صناعة التراث الأردني.

9. كتاب صيتة الحنيطي (الأزياء الشعبية الأردنية تاريخ وحضارة عبر العصور، 2012) الذي أوردت فيه معلومات عن طبيعة الأزياء التراثيَّة الأردنيَّة وشكلها لكل منطقة في الأردن، واتّضح أنَّ الزيَّ الشركسيّ الأردنيّ والأزياء الفلسطينيَّة هي من ضمن أزياء التراث الأردنيَّ.

وهنا يمكن الإفادة من هذا الكتاب كدليل على إسهام الأقليَّة الشركسيَّة في إثراء التراث الأردنيّ وغناه، وإضافته كعنصر رئيس ضمن الأزياء الشعبيَّة الأردنيَّة.

10. كتاب محمد خير حغندوقة (الشركس: عاداتهم، تقاليدهم، وهجرتهم إلى الأردن، 1982) الذي تطرّق لتاريخ الشركس، وتدرّج للوصول إلى حياتهم في الأردن، وركّز على التحديات التي واجهتهم في التكيّف مع الحياة الجديدة، وتطرّق مباشرةً إلى المجالات التي مارسوها في الأردن، مثل إنماء المدن والقرى الزراعيَّة، فشجّعوا البدو على استصلاح الأراضي الزراعيَّة، وصناعة الألبان، وتربية النحل، وبعض الصناعات مثل: الحدادة، والصياغة، وصناعة الجلود. كما برعوا في الأعمال التطوّعيَّة الخيريَّة، فتبرّعوا بإقامة المقابر لموتى المسلمين، وإنشاء المساجد.

ويمكننا الكتاب من التعرّف إلى أبرز ملامح حياة الشركس في الأردن، ومنه نستطيع الاستدلال على أبرز الصناعات التي برعوا فيها، وقدموا فيها إسهامًا في التراث الأردنيّ. وباستطاعتنا تتبع حياة الشركس وتاريخهم من خلال هذا الكتاب، والتعرف إلى أهمّ ممارساتهم، التي أصبحت جزءًا من التراث الأردنيّ فيما بعد.

11.كتاب اردا فريج ديركرابديان (الأرمن الأردنيون، 2005) الذي تناول تاريخ الأرمن، وسبب هجرتهم إلى الأردن، وركّز على فترة الحرب العالميَّة الأولى، التي بدأت بعدها أفواج الهجرة إلى الأردن، وتطرّق الكاتب إلى أن بعض الأرمن توجّهوا نحو منطقة الكورة في شمال الأردن، وحصلوا على الحماية من أهلها وجاوروهم.

ثم تطرّق الكاتب إلى إسهاماتهم في بعض الصناعات، حتى أصبحت حرفةً مختصّةً بهم مثل: الصياغة، والتصوير، والخياطة، وبعض أعمال الميكانيك.

يتعلّم الأرمن اللُّغة الأرمنيَّة إلى جانب اللُّغة العربيَّة في المدارس الخاصَّة بهم، فقد أوَّلت هذه الأقليَّة أهميَّة كبيرة لتعليم عنصر الشباب تاريخ الأرمن واللُّغة الأرمنيَّة من خلال مدارس أرمنيَّة أنشئت في عمّان.

ويبدو من مطالعة الكتاب أَنَّه يصنّف الأرمن ضمن الطبقة الوسطى في المجتمع، كما أَنَّ الأرمن الأردنيين يميلون إلى سماع الأغاني العربيَّة، وتستهويهم المأكولات الشعبيَّة الأردنيَّة. وتعتبر هذه الدراسة مصدرًا جيّدًا لمعرفة الأعمال التي قام بها الأرمن، وأخذت طابعهم، وعليه تتمحوَر الإفادة منه باستخلاص هذه الأعمال، التي أصبحت فيما بعد جزءًا من منظومة التراث الأردنيّ.

12.كتاب عاطف طاس (مدخل للتراث الشفوي الشركسي، 2009)، الذي تناول جانبًا واحدًا من التراث الشركسيّ الأردنيّ، لكنه جانبٌ غنيٌّ وعميقٌ، ويعدّ هذا الكتاب من أهمّ الأعمال التي أنجِزت حول موضوع التراث الشركسيّ الشفويّ، الذي يعدّ ركيزةً من ركائز التراث غير الماديّ، الذي ينتقل ويُتَوارَث عبر الأجيال، فنستطيع القول إِنَّ هذا الكتاب عمل على توثيق كثير من جوانب التراث الشركسيّ الشفويّ، الذي يشكّل فعليًّا رأس المال الرمزيّ لأي شعب من الشعوب.

13. إِنَّ نقطة التحول الرئيسيَّة في التفكير الأنثروبولوجي حول الثقافة والعرق جاءت من مقدمة مختصرة لفريدريك بارت"المجموعات العرقيَّة والحدود،1969" افترض بارت أَنَّ إنشاء شعور الانتماء عند الجماعات العرقيَّة يتم من خلال رمزيَّة علاقات الدّم والتّاريخ المشترك.

من المهم أن نلاحظ أَنَّه بعد الحرب العالميَّة الثانيَّة توقع العديد من الليبراليين أَنَّ الاثنيَّة والقوميَّة ستنخفض في أهميتها، إذ توقع الكثير منهم أَنْ تدفقات عالميَّة أكبر من الناس والأموال والأفكار

والممارسات سوف تؤدي إلى اختفاء الكيانات الثقافيَّة المميزة.على الرغم من اختفاء بعض الجماعات العرقيَّة بسبب الاستعمار والمؤسسات الحديثة في المقام الاول.إلا إنَّ التوقعات الليبراليَّة طويلة الأجل اثبتت أنَّها غير صحيحة؛ لأنَّ الجماعات العرقيَّة لم تتحلل فحسب بل انتشرت أيضًا. كما يمكن للجماعات العرقيَّة حسبما كتب بارث "إنَّ تعزز هويتها الثقافيَّة الجديدة، حتى مع تآكل هويتها القديمة".بدلا من اختفاء المجموعات في وعاء كبير غير واضح من التقاليد المشوشة والرموز والممارسات واللغات وما إلى ذلك، فإنه يتم إحياء المجموعات الإثنيَّة وتنشئتها والتأكيد على الهويات العرقيَّة والحفاظ عليها في جميع أنحاء العالم.

التعليق على الدراسات السابقة

إضافة إلى الملاحظات المفردة على كل دراسة سابقة لوحدها فإن الدراسات السابقة لم تتضمّن الحديث عن إسهامات الأقليات العرقيَّة للمجتمع الأردنيّ مباشرةً، بل أخذت أكثر الدراسات زاوية التعريف العام بتلك الأقليات وتاريخها، حتى إنَّ بعضها لم تسلط الضوء على موضوع الدراسة الحاليَّة، وإنما تتناولت ملامح المجتمع الأردنيّ بنظرة عامة، ومن ضمنها التركيب الاجتماعيّ، والأقليات ودورها.

اضافة الى الدراسات السابقة فقد تم الاستعانة ببعض النظريات التي ركزت على إحدى زوايا الموضوع المطروح نقاشه.

1-11النظريات والتعقيب عليها

نظرية الجذب والطرد:

لصاحبها إيفريت لي وتعبر النظريَّة من أهم النظريات المفسرة لظاهرة الهجرة وتنص على وجود عوامل طاردة تدفع المهاجر للانتقال وتغيير مكان سكنه ويسمى هذا المكان بمنطقة المنشأ وعوامل جاذبة تدفعه للاستقرار في المكان الجديد والذي يسمى منطقة المقصد(المالكي وشلبي، 2000). وتكون عوامل الطرد إما اجتماعيَّة أو ثقافيَّة أو اقتصاديَّة أو طبيعيَّة أو سياسيَّة (انعدام الأمان، النزاع، الفساد، العنف، سوء الإدارة) ويقابلها من عوامل الجذب الشعور بالأمان واللغة المشتركة وجمع شمل العائلة وتحسين المستوى المعيشي، ويحكم الهجرة أربعة عناصر وأولها أنه كلما زاد القرب الجغرافي يزاد تيار الهجرة كما أنه كلما كان بلد المقصد واضح المعالم للمهاجر يكون الدافع للاستقرار في المكان الجديد أقوى كلما كانت الصعوبات أقل للوصول لمنطقة المقصد يقوى تيار الهجرة كما يحكمها أخيراً الظروف الشخصية للمهاجر (الكاظم، 1999).

وترى الباحثة بأنَّهذه النظرية لا تنطبق بشكل كامل على هذه الحالة الدراسيَّة ولكن بنظرة عامة؛فالتطابق يكمن في أنَّ الشركس والشيشان كان سببًا في اختيارأن تكون وجهتهم الأردن وذلك بفعل إيمانهم المطلق بأنَّ الأردن هي المكان الذي يمكنهم من المحافظة على دينهم كونها بلد عربي وارتباط العربيَّة بالرسول الكريم.

ثم إنَّ هذه المجموعات استمرت بتواجدها هنا بفعل التشجيع من الدولة المستضيفة التي أعطت لهم حقوق تساوي حقوق الشعب الأصيل نفسه وهنا أصبحت عوامل الجذب الذي تشكل

من الدولة المستضيفة شعبًا وحكومة الأساس في ديمومة تواجدهم كمواطنين ذات أصحاب هويَّة أردنيَّة.

البنائية والوظيفية

والتي ظهرت بشكل جلي وواضح ضمن إطار علميّ في كتابات هربرت سبنسر في مجال تشبيه المجتمع بالكائن العضويّ. فقد كان سبنسر يؤكد وجود التساند الوظيفيّ والاعتماد المتبادل بين نظم المجتمع في كل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعيّ (أبوزيد، 1982).

أمّا إيميل دوركايم عالم الاجتماع الفرنسي فقد رأى أنَّ البناء الاجتماعيّ بإعتباره حقيقة اجتماعيَّة تمتاز بعموميتها وقدرتها على الإنتقال من جيل لآخر. وفي كتابة **(الأشكال الأولية للحياة الدينية، 1915)** بين أنَّ المعتقدات الدينيَّة والعبادة لسكان استراليا تظهر بوضوح وظيفة العلاقات الدينيَّة في البناء الإجتماعيّ الموجود، وأنَّ طقوس العبادة هده انتقلت من جيل إلى آخر وأنها فرضت نفسها على المجتمع، وهو بذلك أوجد الوظيفة التي تقوم بها الظاهرة في الحياة الاجتماعيَّة.وكان الأنثربولوجيون البريطانيون أول الذين أعطوا الأولويَّة لدراسة البناء الإجتماعيّ إنطلاقاً من نظريَّة أنَّ المجتمع في كل مكان يتميز بأنَّه ليس مجموعات عشوائيَّة من الأشخاص غير منظمة، موضحين أنَّ بين الأفراد مجموعة أنماط للعلاقات والسلوك يتفاعلون معها وينقلونها عبر الأجيال وتشكل بناهم الإجتماعية " نرى أنَّ العادةَ ترمز أو تعبر عن العلاقات الاجتماعيَّة وهي الروابط والإنشقاقات التي تجمع الأشخاص والجماعات أو تفرقهم في أنشطة الحياة الاجتماعيَّة المختلفة، وبهذا المعنى فإنَّ البناء الإجتماعيّ ليس جانباً من الثقافة بل هو كل الثقافة". (فورتز 1953).

وقد تركّزت إفادة الباحثة من هذه الكتب والدراسات فيما يلي:

- بناء الإطار النظريّ للدراسة الحاليّة.
- التعرف إلى تاريخ الشركس والشيشان، في الفترة قبيل هجرتهم إلى الأردن.
- التعرف إلى منهجيات مختلفة اتبعتها تلك الدراسات في اختيار منهجيَّة خاصّة بها تعتمد على المقابلات والمقارنات.
- مقارنة العادات الاجتماعيّة للشركس والشيشان، التي تناثرت في تلك الكتب والدراسات.

الفصل الثاني

الشركس والشيشان

2-1 الشركس: التاريخ والثقافة.

2-2 الشيشان: التاريخ والثقافة.

2-3 إنشاء القرى الشركسية.

2-3-1 عمان.

2-3-2 وادي السير.

2-3-3 ناعور.

2-3-4 جرش.

2-3-5 الرصيفة.

2-4 إنشاء القرى الشيشانية.

2-4-1 صويلح.

2-4-2 الزرقاء.

2-4-3 السخنة.

2-4-4 الأزرق.

2-5 علاقات الشركس بالمجتمع المحلي في الأردن.

2-5-1 اللغة.

2-5-2 العادات الاجتماعية عند الشركس والشيشان.

2-5-3 الأنشطة الاقتصادية الشركس.

2-5-4 الزراعة.

2-5-5 تربية المواشي والأغنام.

2-5-6 الصناعة.

2-5-7 التجارة.

تمهيد:

شكّلت هجرة الشركس والشيشان إلى بلاد الشام، وإلى الأردن تحديدًا علامة فارقة في تاريخ المنطقة وتاريخ الأردن الحديث. ويناقش هذا الفصل حيثيات هذه الهجرة وما انتجته على المستوى الديموغرافيّ والسياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، والتأثير الثقافيّ في حياتهم وفي المجتمع الأردنيّ الناشئ الذي كوّن النواة الأولى لإمارة شرق الأردن، ثم للمملكة الأردنيَّة الهاشميَّة فيما بعد.

ويستعرض هذا الفصل التأثير الشركسي الأكبر في المجتمع الأردنيّ، لكنه يتطرق إلى التأثير الشيشاني أيضًا على الرغم من أنهم أقل عددًا وتأثيرًا. ومع ذلك فإن ما يقال عن الشركس هنا يمكن تعميمه على الشيشان؛ إذ الفرق الوحيد الرئيس بينهما هو الاختلاف في اللُّغة.

أما العوامل الأخرى فهي متشابهة إلى حد بعيد، كالعادات والتقاليد واللباس والثقافة(البشايرة، 1997م).

وهنا يبحث هذا الفصل في هجرة الشركس والشيشان إلى الأردن، والقرى التي عمروها واستوطنوها، ويتناول عاداتهما، وحياتهما الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والثقافيَّة.

2-1 الشركس: التاريخ والثقافة

يطلق اسم الشركس على شعوب القوقاز، الذين تمتد أراضيهم بين البحر الأسود وبحر قزوين، وهي ذات طبيعة جبلية ومناخ قاسٍ، وتضم هذه الشعوب عددًا من القبائل، مثل: الأديغة، والأوباخ، والشيشان، والداغستان.

ويرى العبودي، ويؤيده في ذلك بقاعي، أن اسم الشركس مأخوذ من "سركس"، وهو تحريف للاسم "جيكس"، أو "جيكت"، الذي أطلقه عليهم المؤرخ سترابون، وكذلك تحريف للاسم "سرست"، أو "كركس"، الذي سماهم به المؤرخ بليني (العبودي، 1999م ؛ بقاعي، 2014م).

دخل الإسلام بلاد القفقاس منذ صدر الإسلام فانتشر بين شعوبها، خاصة الداغستانيين. أمَّا الشراكسة (الأديغة) فقد تأثروا بالداغستانيين بعد أنْ وصل دعاتهم إليهم في القرن الخامس عشر الميلادي (العبودي، 1999م؛ بقاعي، 2014م).

وجد الشراكسة توافقًا كبيرًا بين الدين الجديد ونظامهم المعروف بـ(الأديغة خابزة) لما وجدوه فيه من الحض على مكارم الأخلاق، فاعتنقوه وتمسكوا به، وتعصبوا له، كما أنهم يقدسون اللغة العربية لتقديسهم له (بقاعي، 2014م).

ويعرف الشركس اليوم بالمجموعة الغربية من شمال القفقاس، ويتألفون من: الأديغة والوِبخ، والأبخاز. ويدعون بمجموعهم بـ(الأديغة)، التي تعني الإنسان الكامل (بقاعي، 2014م؛ نقلًا عن: سمكوغ، 1995م).

نَعِمَ الشركس بالاستقلال في بلادهم طوال فترات طويلة، حتى جاء القرن التاسع عشر الميلادي، إذ أصبحت بلادهم مسرحًا للصراع الطاحن بين روسيا القيصريَّة الساعية إلى الوصول

إلى البحر الأسود حيث المياه الدافئة، وبين الدولة العثمانيَّة، التي كان الشركس يتبعون لها اسميًّا، ويدرجونها تحت اسم "جركيسيا".

انتهت الحرب بين الدولة العثمانيَّة وروسيا بتوقيع معاهدة أدرنة بينهما سنة 1829، وبذلك استطاعت روسيا أن تحيّد الدولة العثمانيَّة في صراعها القادم مع شعوب القوقاز، إذ تنازل العثمانيون عن حقهم في القوقاز (ناشخو، 1995م).

كانت حرب الروس على القوقاز حرب إبادة تستهدف القضاء على الشركس أو ترحيلهم لتفريغ أرضهم والاستيلاء عليها، ونتج عن هذه الحرب غير المتكافئة تهجير مليون وأربعمئة ألف شركسي من بلادهم (ناشخو، 1995م).

استفاد العثمانيون من هجرة الشركس فجنّدوا رجالهم في الجيش العثمانيّ، ثم خططوا لإسكانهم في البلقان والأناضول، ليكونوا سدّا منيعًا أمام هجمات الصرب والسلاف والبلغار، فمكثوا هنالك عدة سنوات، لكن قيصر روسيا اعترض على إسكانهم في البلقان، فهُجِّروا مرة أخرى إلى المناطق الداخلية (ناشخو، 1995م، ص37).

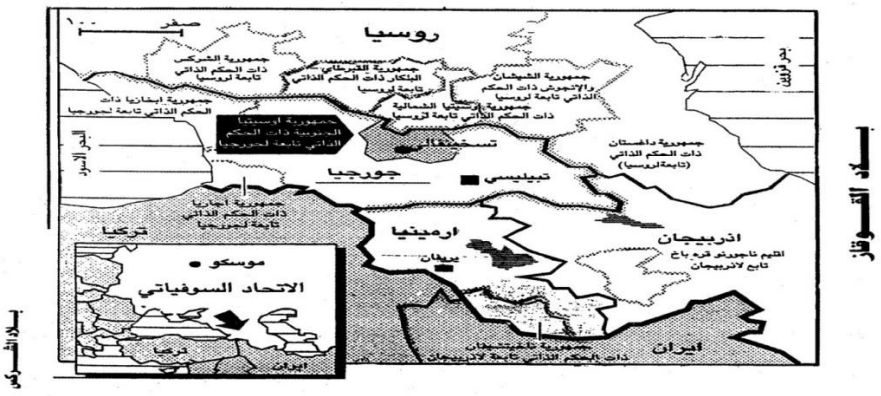

الشكل 1: خارطة توضح البلاد القفقازية.
المصدر: العبودي، محمد ناصر (1999م)

الهجرة إلى ولاية سورية:

بدأ توطين الشركس والشيشان في ولاية سوريا العثمانيَّة، التي تضم بلاد الشام (الأردن، وسورية، وفلسطين، ولبنان) عام 1860م (العبودي، 1999م).

فقد وصل نحو 5000 شيشاني وداغستاني وشركسي إلى منطقة رأس العين، والسفح، في عمَّان الحالية، وإلى تل الرمان على نهر الخابور في سوريَّة، ثم تلاهم فوج آخر يبلغ عدده 4000 (2500 من قبيلة الأبزاخ، و1500 من القبرطاي) سكنوا مرج الزيتون ومنبج وخناصر شمالي حلب. وفي عام 1871م وصل فوج من قبيلة البجدوغ الشركسية، وسكنوا قضاء حمص(ناشخو، 1995م).

توالت الهجرات الشركسية إلى ولاية سورية، حتى ازداد عددهم؛ مما فرض واقعًا اجتماعيًا وديموغرافيًّا جديدًا، مما أنتج مشكلات اقتصادية كالبطالة والفقر في صفوف المهاجرين الشركس والشيشان، وهوما دفع المسؤوليين في ولاية سورية إلى فرض ضريبة إجبارية مقدارها أربعة قروش على كل ذكر في الولاية، لصالح المهاجرين الشركس والشيشان (باتسج، 2009م).

وتسبّبت الهجرات الشركسية والشيشانية في ضعف الخدمات الصحية المقدمة لهم، فقد فتك بهم مرض الجدري عام 1878م في دمشق، فمات كثير منهم، مع أن السلطات حاولت نقلهم إلى أماكن أخرى.

ومن المشكلات التي واجهت السلطات مشكلة السلاح بأيدي الشركس، فلم يقبلوا بتسليم أسلحتهم للسلطات، إضافة إلى مشكلة توفير الطعام والشراب لهؤلاء المهاجرين.

لكن الهجرات الشركسية استمرت تتدفق على ولاية سورية على فترات لمدة قاربت الثلاثين عامًا، بدءًا من سنة 1878م حتى عام 1908م، واجه الشركس خلالها صعوبات وعقبات عدّة، منها معارضة الأوربيين للاستيطان في المناطق المتاخمة لأوربا؛ مما اضطرهم إلى الهجرة ثانية إلى المناطق الداخلية في الدولة العثمانية، وخاصة ولاية سورية. كما واجهتهم صعوبات في الطريق، خاصة الطرق البحرية، ففي آذار عام 1878م شبّ حريق في أحد عنابر سفينة نمساوية، تحمل 3000 مهاجر شركسي، واحترق في ذلك العنبر جميع ركابه ومجموعهم500 راكباً، بعد أن أغلق القبطان عليهم الباب لئلا ينتشر الحريق في السفينة (ناشخو، 1995م).

لكن المشكلات الكبرى نتجت عن احتكاك المهاجرين من الشركس بسكان البلاد الأصليين، فقد دخل الشركس في صراع مع السكان المحليين في حمص، وأدى إلى وقوع قتلى من الجانبين، وحدث مثل ذلك في القنيطرة مع الدروز والتركمان والبدو (ناشخو، 1995م).

استقرار الشركس في لواء حوران:

يمتد لواء حوران جنوب دمشق حتى نهر الزرقاء جنوبًا، ومن نهر الأردن غربًا إلى الصحراء السورية شرقًا، وكانت تقسم إلى ثلاث قائممقاميات[3]، هي: القنيطرة، وجبل الدروز، وجبل عجلون، ويتكوّن سكانه من المسلمين والمسيحيين والدروز. وصل إلى القنيطرة عام 1878م نحو 400 فرد من الشركس، لكن واجهتهم صعوبات وأمراض فتكت بأكثر من 200 منهم، ثم تبعهم نحو 2000 مهاجر جاؤوا من بلغاريا في السنة نفسها (ناشخو، 1995م).

(3)القائمقامية: القائم مقام ، هو الشخص الذي يقوم مقام الغير في منصبه، وهو أعلى منصب إداري في الأقضية، التي هي جزء من التنظيم الإداري للولايات العثمانية. (صابان 2000م).

استقرار الشركس في لواء البلقاء:

يمتد لواء البلقاء في المنطقة الوسطى من الأردن، وتشكل سكانه من المسلمين والمسيحيين، وفيه كثير من المدن والقرى العامرة، كانت عمان أول بلدة استوطنها الشركس في لواء البلقاء سنة 1878م، وبلغ عدد بيوتهم فيها سنة 1910م نحو 500 بيت، وضمت عمان عدة أحياء للشركس، منها محلة القبرطاي، ومحلة الأبزاخ، ومحلة رأس العين، إلى جانب بعض القبائل العربية فيها. وبعد أن وزعت عليهم الدولة العثمانيَّة الأراضي الميرية في عمان عمّر الشركس بيوتهم من الحجارة المتوافرة في المنطقة وليّسوها بالطين، وسقفوها بالأخشاب والقصب والدفلى النابت في مجرى سيل عمان (ناشخو، 1995م). وسكن الشركس أيضًا بلدات الرصيفة وناعور ووادي السير وصويلح.

2-2 الشيشان: التاريخ والثقافة

بعد احتلال الروس للشيشان بأربعين عامًا، قرّر نحو 700 عائلة من الشيشان الهجرة من بلادهم دون تحديد وجهة محددة لهم، وكان السبب أنهم يريدون المحافظة على دينهم وعقيدتهم، فانطلقوا في شهر شعبان 1319هـ/ كانون الأول 1901م في القطارات من داخل الإمبراطوريَّة الروسية حتى دخلوا أراضي الدولة العثمانيَّة، حتى وصلوا إلى قلعة حسن في تركيا في نهاية العام الهجري، فقدم لهم المسؤولون العثمانيون التسهيلات، فشكلوا لجنة من سبعة أشخاص توجهوا جنوبًا لارتياد موقع مناسب لاستيطانهم، فزاروا قونية، وأضنة، وحلب، وبصرى، ودرعا، ودمشق، وبيروت، وإربد، والزرقاء، ومأدبا، والكرك، حتى وقع الاختيار على الزرقاء.

قسم المهاجرون إلى ثلاث مجموعات تحركت تباعًا منذ آب 1902،حتى وصلت إلى الزرقاء عام 1903، وأقامت أكشاكها فيها.شهدت الرحلة التي استمرت قرابة الستة شهور كثيرًا من المعاناة، وخسر خلالها الشيشان كثيرًا من الأفراد بسبب الأمراض، على الرغم مما وفرته لهم السلطات العثمانية من المؤن[4].

شارك الشيشان إخوانهم الشركس سكناهم وجاوروهم في بعض البلدات التي استوطنوها، وهي: صويلح، والسخنة، والزرقاء، والأزرق (البشايرة، 1999م).

وصل أول فوج منهم إلى الأردن عام 1903م، وعددهم 700 أسرة، استقر منهم في منطقة الزرقاء 400 أسرة، وعاد الباقي إلى بلادهم، واستمر توافدهم إلى الأردن حتى عام 1911م.

ومعظم المهاجرين الشيشان من محافظة نجي يورت، ولهذا تربطهم وشائج الدم والقربى والعقيدة، وينتمي معظمهم للطريقة الصوفية النقشبندية.

ويبلغ عدد الشيشان في الأردن نحو 9000 فرد، موزعين على المناطق الأربع (البشايرة، 1999م).

وقد عمل الشيشان مثل إخوانهم الشركس في الزراعة والمهن الأخرى، كما عملوا في قوات الدرك العثمانية والسكة الحديد والنقل.

4. (موقع شيشان الأردن: www.sukhneh.com).

ويمكن القول هنا: إن الهجرات الشركسيَّة والشيشانيَّة عامّةً، وإلى ولاية سورية خاصةً، كانت تفتقر إلى سياسة محدّدة ومنهجية من السلطات العثمانية، لتوطين هؤلاء المهاجرين والاستفادة منهم أو إفادتهم.

كما لاحظت الباحثة أن الهجرات الشركسية لم تكن رغبةً عن وطنهم أو كرهًا له، بل كانت بسبب ما تعرضوا له من حروب إبادة على يد الحكومة القيصرية في روسيا، ثم هاجروا ثانية من أماكن سكناهم الجديدة بعد هجرتهم الأولى بسبب اعتراضات الدول الأوربية على توطينهم في المناطق المتاخمة للبلقان وشرق أوروبا.

وقد تمثّل غياب السياسة المحدّدة والمنهجية الواضحة وضعف الدولة العثمانية في توطين المهاجرين الشراكسة، حتى لجأت الدولة إلى توطينهم في ولاية سورية.

ومن خلال قراءات الباحثة في المصادر والمراجع التاريخيَّة تَوَصَّلَتْ إلى ما يلي:

1) عشوائيَّة هجرات الشركس وسوء تنظيمها.
2) عدم استعداد سلطات ولاية سورية لاستقبالهم.
3) عدم تهيئة أماكن مخصصة لاستقبالهم واستيعابهم.
4) ضعف الاستعدادات الإغاثية والصحية لاستقبالهم.
5) غياب التنظيمات السياسيَّة والعسكريَّة التي تنظّم حياتهم وعلاقتهم بجيرانهم.

وترى الباحثة أن الهدف الرئيس للدولة العثمانيَّة من توطين الشركس في ولاية سوريَّة هو الاستفادة منهم كقوة عسكرية تحمي طريق الحجّ الشامي، حفاظًا على الوحدة الجغرافية لأملاك الدولة العثمانية.

فلقد كان الدين الإسلامي هو الرابط الوثيق بين الشركس والدولة العثمانية وأهل البلاد الإسلامية، وهو الذي أوجد هدفًا مشتركًا، وهو الدفاع عن الدولة العثمانية ضد الأخطار. وهذا الرابط الوثيق هو أيضًا ما جعل الشركس يعيشون في مهاجرهم كما لو أنهم في بلادهم الأصلية.

وتأكيدًا لهذا الهدف يشير ناشخو إلى وثيقة عثمانية تقترح تشكيل ولاية جديدة تضم لواءي البلقاء وحوران، لتحافظ على أقاليم العراق وبلاد الشام والحجاز متصلة، وتقترح الوثيقة تشكيل قوة بشرية لهذه الولاية عن طريق إسكان مزيد من المهاجرين، دون أن تشير إلى الشركس صراحةً، وذلك عن طريق توطين البدو المقيمين في صحراء تلك الولاية المقترحة؛ ولذا جاء أمر السلطان عبد الحميد الثاني عام 1887م بتسهيل استيطان المهاجرين الشركس والشيشان في ولاية سوريَّة؛ ليؤكد هذه السياسة العثمانيَّة الهادفة إلى حماية طريق الحج الشامي (ناشخو، 1995م).

2-3 إنشاء القرى الشركسية

حين وصل المهاجرون إلى الأراضي الأردنيَّة التي كانت تابعة للدولة العثمانيَّة لم تكن عمان مأهولة، ولا وادي السير، فبدؤوا بالاستقرار عند مصادر المياهفي كل من عمان ووادي السير وناعور وصويلح والرصيفة وجرش.

ويرى ارشيد أنَّ "الشراكسة هم أول من استقروا واستوطنوا في مدينة عمان كمجتمع منظم، في نهاية القرن التاسع عشر، ولم تكن هذه المدينة قبل هذا التاريخ سوى خرائب ووديان". ويضيف أيضًا فيقول: "ويصف الدكتور عبدالكريم غرايبة عمان في القرن الماضي فيقول: لم تكن عمان مسكونة في ذلك الوقت، بل بقيت مجرد مجرى ماء يرده العربان، إلى أن استقر بها الشراكسة عام 1877م، وعمروها كما عمروا جرش، والزرقاء، ووادي السير". (ارشيد، 2002م).

ولا يبدو الأمر كما ذكر ارشيد تمامًا، بل كان في المناطق التي سكنها الشركس سكان أصليون، لكن معظمهم من القبائل البدوية التي كانت تتنقل ضمن مناطقها طلبًا للكلأ والماء، وفي الشتاء كانت تتجمع هذه المناطق لوفرة الماء فيها. غير أنها لم تكن تبني بيوت الطين والحجر، بل تسكن بيوت الشعر.

أسس الشركس خلال هجراتهم عددًا من القرى والمدن، بعضها كان ناشئًا من قبل، لكنهم شكّلوا إضافةً مهمةً لها، سواء سكانية أو معمارية.

وهذه القرى والمدن هي:

2-3-1 عمّان

يذكر روحي شحالتوغ أنَّ الشركس حين قدموا إلى عمّان كانت وجهتهم الأولى إلى القلعة (وسط البلد)؛ لأنها تتناسب مع بيئتهم القديمة التي كانوا يعيشون فيها، فانتشروا حول المنطقة المحاذية لسيل عمّان، حيث وفرة الماء والخضرة، وفي السنة الثانية بدؤوا في بناء بيوت من الخشب مستفيدين من أخشاب الغابات المحيطة بهم، كما أوجدوا نظام العونة بتقسيم العمل، فمنهم من يقطع الأشجار، ومنهم من يعالج الأخشاب، ومنهم من يبني اللبن والحجارة (شحالتوغ، 2018م، شهادة شخصية).

ويصف ناشخو ما فعله الفوج الرابع من الشركس الذين وصلوا إلى عمان، التي كانت آنذاك قرية صغيرة، قليلة السكان، ويسكن حولها بعض القبائل البدوية المتنقلة. فبعد أن وُزِّعت الأراضي على العائلات الشركسية بدأت في بناء بيوتها من الحجارة والطين التي كانت متوافرة في المنطقة، ثم سقفوها بالأخشاب التي أتوا بها من الغابات الكثيفة القريبة منهم، وبالقصب والدفلى التي كانت

متوافرة في مجرى سيل عمان. وأنجز ذلك كله بالتعاون الجماعي (العونة)، فقد كان بينهم البناؤون والنجارون والحدادون وغيرهم من أصحاب الحرف، وكان على الرجال أن يتمّموا هياكل الأبنية، ثم تملّطه (تليّسه) النسوة بالطين من الداخل والخارج، ثم يبيّض بتراب الحوّر، فلم يمضِ شهران على وصولهم حتى أصبح لكل عائلة بيت تسكنه. وبعد استقرارهم بدأ الرجال في ترميم المسجد المتهدّم، فأتمّوه خلال العام 1892م، فأصبحت عمان قرية جميلة فيها مسجد كبير ومئذنة جميلة وبساتين خضراء، تزرع فيها الخضار والفواكه والحبوب (ناشخو، 1995م).

توالت هجرات الشركس إلى عمّان بعد الفوج الرابع، فقد وصلها عام 1900م قافلة من قبيلتي القبرطاي والبجدوغ، فاستقرت الأولى في عمّان، وتابعت الثانية مسيرها إلى ناعور.

عمل الشركس في عمان بالرعي وتربية الماشية والزراعة، وساعدهم على ذلك وجود سيل عمان وقوة مائه، ووجود ثروة حيوانية برية، وغطاء نباتي كثيف (ناشخو، 1995م).

أصبح تجمع الشركس في عمّان أشبه بقرية صغيرة، ففيها شارعان رئيسان، وأقيمت على جانبيهما دكاكين تجارية، ثم أنشئ سوق تجاري صغير، وأنشئ مخبز شعبي عام. وقد زار عدد من الرحالة عمان خلال الفترة من 1893– 1915م، وقدر كلّ منهم عدد سكان عمان بتقدير مختلف، فقدرهم روبنسون ليس بألف نسمة من الشركس وعدد قليل من أصحاب الدكاكين من أهل السلط، ثم بالغ جودريش فرير عام 1903م في تقديره فأوصلهم إلى عشرة آلاف نسمة معظمهم من الشركس، أما هنجتون فقدّرهم عام 1909 بألفي نسمة، وقدّرهم رحالتان فرنسيان عام 1914م بألف وثمانمئة نسمة، فيما قدّرهم مصدر ألماني عام 1915م بخمسمئة آلاف نسمة (باتسج، 2009م).

ويرجع التفاوت في تقديرات إحصائيات سكان عمان إلى غياب وسائل الإحصاء الرسمية الدقيقة. وقد أجرت نيابة العشائر التابعة لإمارة شرق الأردن عام 1922م إحصاءً تقديريًّا للسكان، فقدر عدد سكان عمان بـ6400 نسمة (ناشخو، 1995م)، لكن هذا التقدير لم يحدّد عدد الشراكس بين هؤلاء، ولا نسبتهم. كما ينتمي الشركس في عمان إلى قبائل ثلاث: القبرطاي، والأبزاخ، والشابسوغ (باتسج، 2009م).

2-3-2 وادي السير

يخلص ناشخو (1995م) إلى القول إن الشركس نزلوا في منطقة وادي السير في منتصف العقد الثامن من القرن التاسع عشر الميلادي، واكتمل تأسيس قريتهم فيما بعد سبع إلى عشر سنوات. وقد حدّد بدايةً لاستيطانهم بسنة 1882م، فقد وُزِّعت عليهم الأراضي وشرعوا في بيوتهم فيها.

قُدِّر عدد الشركس الذين كانوا طليعة القادمين إلى وادي السير بنحو 400 نسمة ينتمون إلى 90 عائلة، يتألّف من قبيلة الأبزاخ وعدد قليل من قبيلة الشابسوغ. فيما تألّف الفوج الثاني من قبيلة البجدوغ، فاختلطت القبيلتان، وأنتجوا لغة سهلة قريبة من لغة البجدوغ السهلة نسبيًّا.

خطّط الشركس قريتهم في وادي السير جاعلين عرض الشوارع 22م، وقُسِّمت الأراضي إلى وحدات سكنية، تضم كل وحدة أربع عائلات، وتلتصق كل وحدتين من الخلف، وتطّلان على شارعين مختلفين، غير أن شوارع القرية لم تكن مرصوفة؛ مما يتسبّب في تلفها وانجرافها في الشتاء، لكنهم يعودون لإصلاحها في الربيع لتسير عليها العربات التي تجرّها الثيران.

بنى الشركس في وادي السير بيوتهم من الطوب المصنوع من تراب الحوّر، وسقفها بأشجار الصفصاف، وتصقل البيوت بالطين المجبول بالحوّر والتبن.

2-3-3 ناعور

ينحدر الشركس الذين استوطنوا ناعور من قبيلتي الأبزاخ والبجدوغ، وكان لقدومهم قصة طويلة، فقد ساقهم إليها رجل طاف في البلاد العربية، واستطاع إقناعهم بجمال بلاد العرب، وحرية العبادة فيها، فارتحلوا معه بحرًا إلى حيفا، ومنها وصلوا البلقاء، وكان المقرر أن يسكنوا في منطقة الحمّر، لكن رفض مسيحيي الفحيص ذلك جعلهم يتوجهون إلى منطقة ناعور.

قدّم الشركس في وادي السير كل أنواع المساعدة لإخوانهم في ناعور، لأنهم تربطهم بهم صلات قربي، فهم ينتمون إلى القبيلتين نفسيهما. وكانت المنطقة الغربية خالية من الأشجار وفيها بعض المغاور، التي كان يستخدمها جيرانهم من البدو العجارمة، لتخزين منتوجاتهم.

أما المنطقة الشرقيَّة منها فكانت غنية بالأشجار والمياه، فكانت هناك عين الكبرا التي تنتشر حولها أشجار البلوط والصفصاف، وهناك عين الخشبة التي سميت بذلك؛ لأنهم وضعوا على فم النبع خشبة مجوّفة ليفور منها الماء صافيًا. وهناك العين الصغيرة التي كان ماؤها شحيحًا.

شقّ الشركس طريقًا من ناعور إلى وادي السير، ومن ناعور إلى عمان لتسير عليه عرباتهم، وقد أسهموا في تطوير المنطقة عمرانيًّا واقتصاديًّا. واستفاد من ذلك جيرانهم من القبائل العربية.

اختطَّ الشركس في ناعور المسجد في وسط القرية، ثم شقوا الشوارع لتلتقي كلها عند المسجد، وُزِّعت الأراضي السكنية على العائلات، وتساعَد في بناء المساكن حرفيون شركس من وادي السير وناعور (باتسج، 2009م).

2-3-4 جرش

وصل إلى جرش بعض العائلات الشركسيَّة منذ عام 1882م، واستوطنوا حول حوض الزرقاء، ولكن عشائر بني حسن، التي كانت تقطن المنطقة، عارضت وجودهم، خاصّة أنهم بدؤوا بزراعة الأراضي الزراعيَّة المجاورة لهم، ثم تراضوا، وتقاسموا مياه السيل في سقاية مزروعاتهم ومواشيهم (باتسج، 2009م).

2-3-5 الرصيفة

سكن الشركس موقع الرصيفة قبل عام 1907م، إذ منحتهم الدولة العثمانيَّة الأراضي المطلة على سيل الزرقاء، والمحيطة بينابيع الرصيفة، فأقاموا منازلهم على سفوحها، بينما خصّصوا الأراضي المحيطة بالسيل للزراعة المرويَّة، فاستصلحوا من موقع عين الغزال حتى عوجان، وكان في الرصيفة شارع ترابي وحيد يقسم القرية إلى شمال وجنوب، يربطها بقريتي الزرقاء وعمان، ويسلكه الشركس لنقل منتوجاتهم الزراعية على العربات التي تجرها الثيران إلى عمان.وقد بنى الشركس في الرصيفة مسجدًا، ومطحنتين، أسهمتا في إنعاش الحركة الاقتصاديَّة (ناشخو، 1995م).

عانى الشركس انتشار الملاريا بسبب المياه الراكدة في أحواض المزروعات، لكنهم تغلبوا على هذه المعضلة بالابتعاد عن هذه المستنقعات، وبناء مزارعهم بعيدًا عنها.

2-4 إنشاء القرى الشيشانية

2-4-1 صويلح

كان الشيشان أول من سكن صويلح سنة 1901م، ثم تبعهم الشركس، وكان عددهم 70عائلة، وبعدها بسنوات قدم فوج آخر من الشركس، وأسكنتهم الدولة العثمانيَّةفي صويلح. وانضمّ إليهم بعض العائلات القفقاسيَّة من شعب اللازجي الداغستانيين، ثم انضم إليهم فوج آخر من الشركس سنة 1908م، عددهم 37 عائلة، ثم تبعتهم ست عشرة عائلة، وجميع الشركس في صويلح من قبيلة القبرطاي، وبلغ عددهم سنة 1939م نحو 250 شخصًا (باتسج، 2009م)

بنى الشيشان المسجد أولًا من الخشب، وسموه الجامع الشيشاني، وكذلك فعل الشركس فقد بنوا مسجدًا أصغر من مسجد الشيشان، وسمّوه المسجد الشركسي (ناشخو، 1995م)

الأغلبيَّة العظمى من الشيشان في صويلح من الملّاكين، وخاصة في وسطها، وهو ما يعرف حاليًّا بسوق صويلح الرئيس. وتتشابه بيوتهم من حيث النظام المعماريّ، وغالبًا ما تكون طوابقَ، فالطابق الأرضي يتكوّن من مخازن تجاريَّة، كانوا سابقًا يعملون فيها، ولكنهم يؤجرونها حاليًّا.

كان الشيشان هم أول من عمر منطقة صويلح عام 1901م، ولذا سُمِّيَت بعض الشوارع تيمّنًا بأسماء شخصيات شيشانيَّة، مثل شارع مراد ساكو في سوق الذهب، وشارع آخر يدعى شارع أصحاب الشيشاني في الحيّ الشرقيّ من صويلح (مقابلة مع المخبرة سيمونا ساكو، بتاريخ 3/ 1/ 2018، صويلح).

2-4-2 الزرقاء

وصل إلى الزرقاء نحو 900 عائلة شيشانية عام 1900م، وكانوا مترددين في البداية في استيطانها، لقربها من الصحراء، وخوفًا من القحط أن يهدد مزروعاتهم البعلية، إلا أنهم عادوا وسكنوها بعد اقتناعهم بغزارة مياه نهر عيون الزرقاء.

يتميز موقع الزرقاء بوجود قصر شبيب وسطه، وكانت تحيط به ثلاث قبائل عربية هي: بنو صخر، وبنو حسن، والدعجة.

وفي عام 1910م وصلت إلى عمان ستون عائلة شيشانيَّة، وعاشوا في ظروف سيئة، حتى رُحِّلوا إلى الزرقاء، وأعادت الحكومة عام 1914م تقسيم الأراضي بين مهاجري الشيشان، وشملت الأراضي التي وزعت أراضي خربة الحرير، والسخنة، ومرحب.

كان المهاجرون على دراية بفلاحة الأرض واستصلاحها، فأنشؤوا السدود والقنوات، وبنوا عددًا من المطاحن التي تعمل على الماء، وعملوا في الزراعة وتربية الأبقار والأغنام والدواجن، وعمل بعضهم في الجيش والدرك العثماني، وفي السكة الحديد، حيث كانت في الزرقاء محطة للقطار، وأنشئ فيها أيضًا مكتب للبريد في دائرة السكة الحديد (ناشخو، 1995م).

2-4-3 السخنة

سكنت السخنةَ القريبة من الزرقاء عائلات شركسية تنتمي لقبيلة الأوخ، وكانوا قد وصلوا أولًا إلى الزرقاء عند أبناء عمومتهم، ومكثوا عندهم سنتين، ثم عرضت عليهم أرض السخنة، التي تعتمد على الري، لا على الأمطار. ثم أتاهم الشيشان واستقروا معهم.

خطط أحد المهندسين الشركس شوارع القرية مراعيًا أن يتسع عرض الشارع لعربتين متقابلتين محملتين بقش القمح أو الشعير، وأن تكون امتدادات الشوارع مواجهة لموقع القبلة، وقد أعطيت كل أسرة مساحة تقدر بـ900م^{2} لبناء سكنها، فبنوها بالتكافل والتعاون فيما بينهم.

كذلك أسس في السخنة مسجد ومدرسة، واختيرت قطعة أرض لتكون مقبرة.

كان التعليم في المدرسة باللغة العربية، وكذلك عام 1910م، فتعد مدرستهم من أقدم المدارس الأردنية (ناشخو، 1995).

2-4-4 الأزرق

أفاد الشركس والشيشان من وجود واحة وسط الصحراء، وهي واحة الأزرق، التي استكشفوها حتى وجدوها، ووجدوا فيها الشيخ حديثة الخريشة، أحد شيوخ بني صخر، الذي رحب بفكرة استيطانها من قبل الشركس والشيشان؛ لرغبته في إيجاد بلدة مستقرة في الأزرق، ولتوفير القمح والغذاء قرب منازل قومه، وضمن لهم أيضًا موافقة قبائل الرولة والسرحان، وكان كما أراد فقد أنشأ الشركس عام 1911م قريتهم في الأزرق (ناشخو، 1995م).

وهكذا استقرّ الشركس والشيشان في الأردن في قراهم الجديدة، وتأقلموا مع البيئة الجديدة، وشكلوا لبنة مهمة في بناء الأردن بعد استقرارهم بسنوات، الذي أصبح إمارة عربية جديدة عام 1921 .

2-5 علاقات الشركس بالمجتمع المحليّ في الأردن

- علاقاتهم بالقبائل المجاورة

لم يسجل للشركس أي صراعات أو حروب مع جيرانهم من القبائل العربيَّة، القاطنة حولهم؛ بل على العكس كانت تربطهم علاقات طيبة مع جيرانهم، حتى أصبح تأثيرهم واضحًا في جيرانهم، وأسهموا في استقرارهم، فأصبح البدو يبنون غرفة واحدة، ليسكنوا فيها في فصل الشتاء، وصاروا يمارسون الزراعة وفق طريقة الشركس، الذين كانوا يركزون على جودة المزروعات وتنوّعها (شحالتوغ، شهادة مسجلة، ٢٠١٨م).

لكن وصول الشركس واستيطانهم في الأردن أثار تخوّف بعض القبائل البدويَّة في المنطقة، خاصة قبائل البلقاء، وكان السبب المباشر لهذا التخوّف هو ملكية الأراضي الشاسعة، فقد كانت المنطقة نفسها تشهد صراعًا بين القبائل البدويَّة، كبني صخر والحديد، وصراعهما على منطقة عمان ومراعيها.

كما كانت بعض القبائل التي تسيطر على كثير من الأراضي الزراعيَّة ترفض دفع الضرائب عن هذه الأراضي للدولة العثمانيَّة؛ مما منح الدولة حقّ التصرُّف بها، وشجّعها على توطين الشركس فيها.

أدى استقرار الشركس وإنشاؤهم قرى زراعية مستقرة إلى تشجيع بعض العشائر الأخرى في المنطقة على الاستقرار والعمل في الزراعة بتشجيع من السلطات العثمانيَّة، ومن هذه العشائر عشائر السلطية وعبّاد في وادي السير، والعجارمة في ناعور، وبني صخر والحديد في عمّان، والخريشة بني صخر في الأزرق. لكن عجز بعض القبائل عن دفع الضرائب المستحقة على

الأراضي أدى إلى أن توزّع الدولة العثمانيَّة الأراضي على الشركس القادمين؛ مما أثار نزاعًا بينهم وبين القبائل العربيَّة (باتسج، 2009م).

إلا أن الصراع والخلاف انتهى سريعًا بتدخل الأطراف المحايدة بالصلح بينهم، وأدّى ذلك إلى وضع حدٍّ للاعتدادات والنهب والسلب، وضمان الأمن والاستقرار في المنطقة (ناشخو، 1995م).

- علاقة الشركس بمسيحيي ناعور

بدأت علاقة الشركس بالمسيحيين منذ أن رفض مسيحيو الفحيص إقامة الشركس فيها أو في الحمّر القريبة منها، وموافقتهم على استيطان الشركس في ناعور، وكان لمسيحيي السلط بعض الأراضي في ناعور، فلما رأوا أن الشركس عمروها، بدأ بعضهم بالانتقال إليها، وبنوا بمساعدة البنائين الشراكسة بيوتًا لهم فيها، فأخذوا يعملون بالزراعة والفلاحة وتعاون الطرفان في تنظيمها، وتجاوروا في بيادرهم، ولم تسجَّل أي خلافات أو سوء تفاهم بينهما.

أما دينيًّا فكان كل طرف يحترم المشاعر الدينية للطرف الآخر، بل كان الشركس سباقين في إرسال أولادهم إلى مدرسة الدير التي أسستها العائلات المسيحية في ناعور، بعد خروج الدولة العثمانية من بلاد الشام (ناشخو، 1995م).

عمومًا سادت بينهم علاقات صداقة وحسن جوار ووئام قلّ نظيره.

- علاقات الشركس مع المجتمع الرسميّ

عاصر الشركس نهايات الدولة العثمانيَّة، وبدء تأسيس إمارة شرق الأردن، وكان لهم علاقات مع الدولتين:

- علاقة الشركس بالدولة العثمانيَّة

رعت الدولة العثمانيَّة الشركس الذين هاجروا من بلادهم الأصليَّة، وعملت على توطينهم واستقرارهم، ووزعت عليهم الأراضي الزراعيَّة والسكنية، كما عملت الدولة على تنظيم علاقاتهم بجيرانهم، وحمايتهم من غزواتهم، وفي عام 1908م عمل ميرزا باشا الشركسي، الذي عين قائدًا لطابور الفرسان الخامس العثمانيّ في ولاية سوريَّة، على تجنيد شباب المهاجرين الشركس في سلك الدرك، وكذلك تشكيل قوات فرسان منهم، وتشكيل أول قوة من الفرسان المتطوّعين منهم، وكانت من مهام هذه القوة حماية الفلاحين وتوطيد الأمن والاستقرار بين العشائر البدوية، ومساعدة الشركس على استصلاح الأراضي وزراعتها.

وخلال الحرب العالميَّة الأولى شارك الشركس إلى جانب الجيش العثماني، وهو ما جعلهم عرضة لهجوم بريطاني عليهم في وادي السير، ولولا لطف الله لحدثت للشركس مجزرة على يد الإنجليز، فلم يُقْتَل منهم إلا تسعة أشخاص (ناشخو، 1995م).

- علاقة الشركس بالدولة الأردنيَّة

بعد رحيل الأتراك عن سوريا والأردن خاف الشركس أن يتعرضوا لانتقام الانجليز أو القبائل العربية التي شاركت في الثورة العربيَّة الكبرى، لكنهم عادوا وانضموا إلى القوات التي زحفت إلى سورية لمساندة الملك فيصل ضد فرنسا، لكنها عادت قبل أن تصل إلى الشام، بعد سقوط دمشق

في معركة ميسلون، ثم شاركوا في استقبال الأمير عبدالله بن الحسين في معان في 11/ 11/ 1920م، ومن بعدُ أسهموا في بناء إمارة شرق الأردن ضمن النسيج الاجتماعي المتكامل.

2-5-1 اللُّغة

تنتمي اللُّغة الشركسيَّة إلى اللغات القفقاسيَّة (الأبخازيَّة والشيشانيَّة والداغستانيَّة والكرجيَّة)، بل هي شقيقتهن الكبرى، التي انبثقت من اللغة القفقاسيَّة الأيبيريَّة. وعرف الشركس الكتابة منذ القدم بمفردات أصيلة لا دخيلة، ويدل على ذلك وجود فعل الكتابة "تْخِ"، الذي يعني الفعل "اكتبْ" المتعدي. (ناشخو، 1995م).

حافظ الشركس على لغتهم فيما بينهم، ولكن لم يكتب لها الانتشار بين جيرانهم، ربما لصعوبتها؛ فهي تتشكّل من 58حرفًا غير الإشارات والحركات، فيصل مجموعها إلى 14 حرفًا. وهذا ما يجعل نطقها وكتابتها صعبين (العبودي، 1999م؛ بقاعي، 2014م).

وفي الأردن حافظ الشركس على لغتهم لجيلين منذ عام 1878م، لكن أبناءهم من بعدهم بدؤوا يتأثرون باللغة العربية واللهجة المحكية، وبدأ ارتباطهم ومعرفتهم باللغة الشركسية يقل كثيرًا (العبودي، 1999م).

ويرى محمد خير مامسر باتسج أن مستقبل اللغة الشركسية في المجتمع الشركسي الأردني مستقبل قاتم، وأن احتمال ضياع اللغة خلال العشرين السنة القادمة احتمال كبير، ما لم تتخذ إجراءات قومية سريعة لمعالجة الأسباب التي أدّت إلى ضعف استخدامها في البيت والمجتمع الشركسيين، ومؤسسات المجتمع المدني (باتسج، 2009م).

2-5-2 العادات الاجتماعيَّة عند الشركس والشيشان

بعد مضي أكثر من مئة عام على هجرة الشركس والشيشان من بلادهم إلى الأردن، واندمجوا في المجتمع الأردنيّ، خاصةً في التعليم والعمل، وصارت لهم أملاك ووظائف، وعلى الرغم من ذلك فإنهم ما زالوا متمسكين بعاداتهم الاجتماعيَّة، وهي تعكس هويتهم واعتزازهم بقوميتهم.

وتنتظم العادات الاجتماعيَّة عند الشركس ضمن قانون "الأديغة خابزة"، التي تشكّل دستورًا وقانونًا مقدّسًا وأخلاقيًّا يمسُّ جميع جوانب الحياة، وتشكّل ضوابط سلوكية وقانونية وأخلاقية يخضع لها الحاكم والمحكوم والمحكمة، وهي مستقاة من ميراث الأجداد.

وتعني "الأديغة خابزة" تنظيم البلاد وقيادة الشعب وتنظيم الجيش وتداول المال، والقوانين السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، وحياة الفرد، وطريقة حياته، وأمور الزواج والعلاقات الإنسانيَّة (بقاعي، 2014م).

و"الأديغة خابزة" نظام شعبي لا يقبل بوجود سادة وعبيد، ولكن استحدث منه نظام آخر، هو النظام القفقاسي (ورق خابزة)، لدى القبائل التي سارت على نظام الأمراء الوراثيين، وعلى نظام النبلاء والأمراء، فقسم المجتمع إلى طبقات (بقاعي، 2014م).

ومن هذه العادات:

1) عادات الزواج واحترام المرأة، وهو دليل على مكانة المرأة في نفوسهم وإجلالهم وتقديرهم لها.
2) احترام كبير العائلة وطاعته.

3) مقاطعة المنحرفين، وهو أسلوب ردع للعصاة والمنحرفين.

4) عادات الزواج، وتضم: التعارف والخطبة، ومراسم الزواج، وهي تشابه إلى حدٍّ كبير العادات الأردنية في هذا المجال.

5) الزواج بالخطف: ويعني بالشركسية "كواسا"، وقد ترجمت خطأ إلى معنى "الخطف"، ولكنها تعني "التسلل بقبول"؛ لأن قبول الفتاة شرط أساسي في إتمام هذا الزواج (بقاعي، 2014م).

6) وهو عادة كانت عندهم في بلادهم الأصليَّة، وهي عادة قديمة لها جذورها، وبدأت من شباب النارت[5] حينما كانوا يبحثون عن فتيات للزواج في أراضٍ واسعة فاعتمدوا على الخطف بسبب رفض أهلهن لتزويجهن، وبذلك أطّر الشركس نظامًا وقانونًا للزواج، فصار نظام الخطف أو ما يدعى بالزواج الفروسي التقليديّ نظامًا يفتخر فيه الشراكسة والشيشان، فإذا ما وقع الإعجاب بين شاب وفتاة، وعلم الفتى أن أهلها لا يوافقون على زواجهما لسبب أو لآخر، كالعداء بين العائلتين، فإن الفتى يتّفق مع الفتاة أن يأخذها إلى أحد وجهاء البلدة دخيلةً، ليزوجهما بعد التأكد من موافقتهما. ويتولى هذا الوجيه الوساطة مع أهل الفتاة حتى يرضوا بإتمام هذا الزواج وفق عقد شرعي (البشايرة، 1999م).

---

5. نارت: كلمة ذات جذور إيرانيَّة يُقصد بها على الأرجح "بطل" أو "إنسان"، وأساطير نارت هي سلسلة من القصص التي تعود أصولها إلى منطقة القفقاس الشمالي، وهي تمثل الأساطير الأساسية للمجموعات البشريَّة التي تسكن المنطقة؛ بعضها مجرد قصص بسيطة، لكن لبعضها الآخر قيمة أسطورية تاريخيَّة باعتبارها إبداعًا أسطوريًّا قديمًا. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AF%D9%8A%D8%BA%D8%A9

7) العونة: أو المعونة، وقد تحدثنا عنها في حديثنا عن تعاون الشركس في بناء بيوتهم حين قدموا لأول مرة، وهي التعاون في بناء البيوت وصيانتها، وكذلك في مجال الزراعة عند حراثة الأرض وحصاد المحصول (البشايرة، 1999م).

8) عادات المرأة: فتتميّز بطاعتها لزوجها، وعملها في بيتها، من خياطة وطبخ وتنظيف وتصنيع غذائي، إضافة إلى تربيتها لأولادها وقيامها وشؤونها.

9) عادات اللباس والسلاح: كان للشركس والشيشان عادات في لباس الحرب ولباس المناسبات، ولكنها اختفت مع تغيّر الحياة، وبقيت لاستخدامها في المناسبات والاحتفالات فقط، مثل لبس الجاكيت الثقيل، والحذاء الطويل، والقلبق، وركوب الخيل.

10) عادات الأكل والشرب: الشركس والشيشان غير نهمين في الأكل، ويقوم طعامهم على الخبز والحليب ومشتقاته ، واللحوم والبيض والبطاطا والعسل، والمكسرات الغنية بالطاقة، كالجوز واللوز والزبيب، ويتفننون بصنع المخبوزات والفطائر. وأما شربهم فأكثره اللبن الخاثر، والماء المغلي الدافئ، ولا يشربون الماء البارد.

11) احتفالات الأعياد: مثل جميع المسلمين يحتفل الشركس والشيشان بعيدي الفطر والأضحى، فيطلقون الرصاص ابتهاجًا بقدومها، ويلبسون ملابس جديدة صباح يوم العيد، ثم يؤدون صلاة العيد، ويتزاورون، ويتبادلون التهاني. كما يحتفل الشيشان بالمولد النبوي الشريف، من بيوتهم، ويقرؤون قصة المولد الشريف، ويتناولون الطعام والشراب احتفالًا (البشايرة، 1999م).

12) الموسيقا والرقص: يولي الشركس والشيشان اهتمامًا كبيرًا بالموسيقا، وخاصة التي تعزف على الأكورديون، التي تتّسم بالعنف والصخب (ماستروق).

وتبدأ ممارسة الموسيقا في أفراح الولادة. أما أهم الآلات الموسيقيَّة التي كانوا يستعملونها فهي: القيثارة،والكمان، والقصبة، والمزمار، والبخشتش، والباربان (وهو آلة إيقاعية من التراث الشركسي، وتعني الطبل الشركسي). والأكورديون (شورا بكمرزا نوغموا).

أما الرقص فهو فنّ رفيع المستوى يجسّد كثيرًا من التراث الشركسي والشيشاني وملامح الحياة عندهم(عز الدين سطاس، ص30)، والرقص فطرة يتوارثونها أبًا عن جدٍّ، وقد حافظوا على أصالته في الرقص في الأردن (النشرة الثقافية للجمعية الشركسيَّة، 1992م).

ورقصهم رقص جماعيّ، وحفله يدعى: الجاوك، وفيه يصطفّ الحضور بشكل حلقة تأخذ الفتيات فيها قوسًا من المحيط. ويكون لكل من الشباب والفتيات عريف يدعى: حاتياكوه، ويكون أكبرهم سنًّا، وتكون مهمته قيادية، فهو مسؤول عن جمالية الحفل ونظامه.

ولا تشترك المتزوجات في الجاوك(شروخ، ص76). ويسمح للشبان من غيرهم حضور الحفل وبالمقابل يسمح للفتيات.

وتكون الصدارة في الجاوك للضيوف الكبار ثم كبار السن فأبطال الحرب. ويرافق احتفالات الرقص أنشطة أخرى، كالمصارعة والألعاب والفروسية وإلقاء الشعر والخطب والابتهالات الدينية. كما يحظر على الجبناء أن يحضروا هذه الأنشطة إلا إذا اجتازوا امتحان الشجاعة أمام الشعب في مكان يدعى: ساحة الرجولة (شروخ، ص76).

ويكون هناك طبقة من المغنيين والشعراء يديرون عملية الرقص يدعون: "جه كواغة"، وهم موهوبون بالفطرة ومحبوبون لدى الشعب، وتكون أغانيهم ذات ميول تهذيبية وتثقيفية (شورا بكمرزا نوغمو، ص34). أما أقسام الرقص فهي: رقصة الوج، والججن، والقافة (ماستروق، ص31).

2-5-3 الأنشطة الاقتصاديَّة للشركس

مارس الشركس والشيشان المهاجرون إلى الأردن بعض الأنشطة الاقتصاديَّة، التي تتناسب وطبيعة الحياة الجديدة في الأردن، ومن أهم هذه الأنشطة التي مارسوها ما يلي:

2-5-4 الزراعة

الشركس أصلًا قوم مزارعون، إذ إن بلادهم الأصليَّة في وسط آسيا أرض زراعيَّة خصبة، ولما قدموا إلى الأردن وزعت عليهم الدولة العثمانيَّة أراضيَ زراعية لاستغلالها.

استصلح الشركس الأراضي الزراعيَّة، بدعم من الدولة العثمانيَّة، فازداد العمران وازدهرت الزراعة فيها، حتى زاد دخل الحكومة العثمانيَّة منها من 100 ريال إلى 3000 ريال (باتسج، 2009م).

استغلّ الشركس مياه الأنهار والسيول والعيون، فزرعوا الأشجار، ومحاصيل الفواكه والحبوب، وأنشؤوا الحدائق وسوّروها بشجيرات الوشيح القصيرة، وأنشؤوا نظامًا للري، وشقّوا الطرق الزراعية.

أدخل الشركس روحًا جديدةً في الزراعة بسبب خبرتهم الراسخة فيها، كما أدخلوا استعمال أدوات جديدة، كالعربات التي تجرها الثيران. ويثبت ذلك ما أورده ناشخو من وثائق صادرة من سجلات المحاكم الشرعية في عمان والسلط، تحمل صكوكًا لملكيات أراضٍ زراعية كبيرة مسجلة

بأسماء شراكسة.كذلك امتلك الشركس أراضيَ زراعيةً بعيدة عن أماكن سكناهم، وكانوا يستغلونها أحسن استغلال في التشجير والزراعة (انظر: ناشخو، 1995م).

أهم المحاصيل الزراعية التي أنتجها الشركس:

لم تختلف المحاصيل الزراعية التي أنتجها الشركس في الأردن عما كانت ينتجه السكان الأصليون. ولكنها اختلفت عما كان ينتجه الشركس في بلادهم الأصلية؛ لتغيّر المناخ وطبيعة الأرض والسكان.

وفيما يلي أهم المحاصيل التي أنتجها الشركس في الأردن:

1) الحبوب، خاصة القمح والذرة والشعير.
2) الفواكه، وأهمها العنب، الذي كانوا يحولونه إلى زبيب، أو مربى.
3) التين، والرمان.
4) الزيتون.
5) الخضروات: الفاصولياء، البندورة، الزهرة، الفجل، الفقوس، الحمص.
6) الورقيات: النعنع، الرشاد.
7) البطيخ، والقرع، والشمام.
8) دوار الشمس. (انظر: باتسج، 2009م).

❖ **الأدوات الزراعية عند الشركس:**

وهي أدوات كانت بعضها موجودًا قبل مجيئهم إلى الأردن، وبعضها جديد استحدثوه أو نقلوه عما كان في بلادهم الأصلية. وأهم هذه الأدوات:

1) المطاحن:

أنشأ الشركس عددًا من المطاحن، لطحن القمح وأنواع الحبوب الأخرى، وكانت المطاحن تدار بالماء، ثم أنشئت المطاحن التي تدار بالكاز عام 1925م (ناشخو، 1995م).

وكانت أهم المطاحن هي تلك التي أنشئت في وادي السير، وفي عمان، وكان أهل ناعور من الشركس وغيرهم يطحنون حبوبهم في مطاحن وادي السير.

2) المحراث:

استخدم الشركس المحراث أداة رئيسة لتهيئة الأرض للزراعة، ويتألف المحراث لديهم من جزأين: جزء خشبي، وجزء حديدي (السكة)، ويركّب المحراث على نير على رقاب الفدان (زوج من الثيران) يجرّانه، واستخدم بعضهم الكُدش بدل الثيران.

3) المنجل:

يمتاز منجل الشركس بطول نصله، ليتيح للحصاد أن يحصد الزرع والأعشاب وهو واقف، إلا أنهم في الأردن استخدموا المنجل الصغير لملاءمته زراعة الحبوب قصيرة القامة صلبة العود.

4) لوح الدراس:

يتكوّن لوح الدراس من لوح من خشب البلوط الثقيل، وفيه ثقوب تملأ بحجارة الصوان القاسية، ويربط اللوح بالنير المشدود إلى رقبتي ثورين يدوران به دائريًّا حتى تكتمل عملية دَرْس الحبوب وفصلها عن قشورها.

5) الشاعوب:

ويستخدم لتذرية الحبوب في الهواء بعد درسها، فتبقى الحبوب مكانها، ويطير التبن أو القشر إلى مسافة أبعد من مكان الحبوب، ثم تجمع الحبوب وحدها، والتبن وحده.

6) الغربال:

ويستخدم لغربلة المحصول بعد تذريته (انظر: ناشخو، 1995م).

2-5-5 تربية المواشي والدواجن

عمل الشركس على تربية المواشي للاستفادة من منتجاتها من ألبان وأصواف ولحوم، وكانت هذه المواشي ترعى في المناطق الحرجية القريبة من مساكنهم. وامتلك بعضهم الأبقار التي استفادوا من لحومها وألبانها، كما استخدموا الثيران للحراثة وجرّ العربات التي يتنقلون بها.

وإلى جانب ذلك اهتم الشركس بتربية الدواجن في منازلهم، كالدجاج، والحبش، والحمام، ولم يرغبوا بتربية الأرانب لخطورتها على المزروعات (ناشخو، 1995م).

2-5-6 الصناعة

برع الشركس بصناعات خفيفة تلبي احتياجاتهم واحتياجات مجتمعهم اليومية ومتطلبات البناء والعربات، ومن أهم هذه الصناعات:

1) النجارة:

عمل بعض الشركس نجارين ليلبوا حاجة المجتمع المحلي إلى الأدوات الخشبية، فكان النجار يستفيد من بيئته الغنية بالأخشاب ليصنع أدوات خشبية متعدّدة، كالطاولات المستديرة

الصغيرة والكبيرة،والكراسي، والخزائن، والأبواب، والشبابيك، والعربات، التي كان يتشارك مع الحداد في صناعتها، وكذلك أدوات الحراثة كالمحراث والنير.

واستخدم النجارون الشركس المسامير الخشبية (الخوابير) لربط الأجزاء الخشبية بدل اللصق بالغراء أو البراغي المعدنية.

2) صناعة العربات:

تميّز الشركس في الأردن بصناعة العربات واستخدامها وسيلة للحمل والنقل، وتصنع هذه العربات في أغلبها من الخشب، خاصة شجر "الحُور" الخفيف الوزن، الذي ينقع بالماء لعدة أيام حتى يلين، ويسهل ثنيه لعمل العجلات منه، وأما قفص العربة فيعمل من خشب السنديان، وأرضية العربة من خشب البلوط.

ويثبت للعربة ذراع معدني يشد بحبل على العجلات، ويستعمل كوابح في المنحدرات ولإيقافها، وقد شكّلت العربات واستخدامها المقدمة الحقيقية لاستخدام السيارات في الأردن.

3) الحدادة:

عمل بعض الشراكسة في الحدادة لتأمين متطلبات المجتمع من الأدوات المعدنية، كالأبواب، والأقفال، وأدوات الغسيل والطبخ، ونقل الماء، وأدوات الزراعة، كالسكة، والمنجل، والفأس، والعتلات.

4) صياغة الذهب والفضة:

برع الشركس في أعمال صياغة الذهب والفضة، وتفننوا في زخرفتها وإظهارها بصورة جميلة مقبولة لدى السكان وغيرهم.

واستخدم الشركس مواد أخرى مع الذهب والفضة لتزيينها وتجميلها، مثل الرصاص والنحاس والكبريت الأصفر.

5) صناعة السيوف والخناجر:

غالبًا ما يتولّى الحداد نفسه هذه الأدوات، ولكن بعضهم كان يتولى نقشها وتزيينها.

6) الصناعات الغذائية:

مهر الشركس في صناعة اللحم المدخّن (الصصج)، وكذلك في تصنيع البهارات، والمعجنات المخبوزة، والأجبان. وكانت لديهم بعض الأكلات الخاصة بهم، مثل "مرمس" المصنعة من الذرة الصفراء والسمن والعسل. (للمزيد عن الصناعات انظر: ناشخو، 1995م؛ باتسج، 2009م).

2-5-7 التجارة

كان لهجرة الشركس إلى الأردن دور كبير فعّال في إنشاء حركة تجارية نشطة في المدن والقرى التي سكنوها أو سكنوا قربها، فافتتحوا الدكاكين التي صارت توفّر للسكان متطلباتهم من الأدوات والمواد الغذائيَّة والمنزليَّة.

كانت الحبوب من أهم السلع التي تاجر بها الشركس في دكاكينهم، وكذلك المنتجات المحلية، كزيت الزيتون والفواكه المجففة.

واستورد الشركس كثيرًا من المواد اللازمة، كالسكر، والكاز، والأقمشة والحلويات، من المراكز الحضرية القريبة، كالقدس، ودمشق، وحيفا.

كما كان أهالي المناطق المجاورة من الشام وفلسطين يحملون تجاراتهم وسلعهم لبيعها للتجار الشراكسة في عمان ووادي السير والزرقاء، ونشأت تبعًا لذلك علاقات اجتماعية بين الشركس وأهالي هذه المناطق.

وأفاد الشركس من العربات التي كانوا يصنعوها في نقل وتحميل كثير من المنتجات من أماكن إنتاجها، إلى دكاكينهم، أو إلى المراكز الحضرية الأخرى القريبة منهم، كما استغلوا هذه العربات في نقل الركاب.

كذلك أجّر الشركس بعض الدكاكين في عمّان ووادي السير لتجار من دمشق ونابلس. كما عمل التجار الشراكسة في استيراد الخيول والثيران، وبيعها للأهالي في مناطق تجمعهم.

خلاصة الفصل

ناقش هذا الفصل هجرة الشركس والشيشان إلى الأردن، والتأثيرات الثقافيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة لهم في المجتمع الأردنيّ. وتوصل الفصل إلى أنهم قد أسهموا إسهامًا كبيرًا في استقرار المجتمع الأردنيّ. وتمثل ذلك في تأسيسهم القرى والمدن التي شكلت الأساس الحضري للدولة الأردنيَّة فيما بعد خروج العثمانيين من المنطقة.

وتمثل كذلك في التقدم الزراعيّ والصناعيّ في المناطق التي استوطنوها، وكذلك إدخالهم بعض الصناعات، كالمطاحن والعربات.

أما اجتماعيًّا فقد كانوا مجتمعًا منغلقًا على نفسه، ولذا لم يحدث تواصل حضاريّ، كالزواج مثلًا، مع جيرانهم. وإن كانوا قد شكلوا جزءًا من النسيج الاجتماعيّ الأردنيّ.

وسوف يقدّم الفصل الآتي الأساس الثقافي لفهم الثقافة الشركسيَّة والشيشانيَّة وتأثيرها في المجتمع الأردنيّ.

الفصل الثالث

الدراسة الإثنوغرافية

3-1 هجرة الشركس والشيشان.

3-2 التراث المشترك بين الشركس والشيشان.

3-3 تقاليد الزواج.

3-4 اللغة.

3-5 الزي واللباس.

3-6 الطعام والغذاء.

3-7 العلاقات الاجتماعية.

3-8 التعليم عند الشركس والشيشان

3-9 التراث والمتاحف.

3-10 كيف استفاد الشركس والشيشان من التكنولوجيا؟

توطئة:

بعد الدراسة النظريَّة لتاريخ الشركس والشيشان، وفق ما فاضت به المصادر والمراجع، تأتي المقابلات التي أجرتها الباحثة مع عدد من الشخصيات الشركسية، وهم من الجنسين رجالًا ونساءً، لكنهم من كبار السن الذين يمثلون الجيل الثاني والثالث للشركس الذين هاجروا من ديارهم. واستوطنوا الأردن في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين الميلادي.

تطرقت الباحثة في المقابلات إلى عدة موضوعات تتعلق بهجرة الشركس والشيشان وثقافتهم وتراثهم، كالزواج، والأسرة، واللغة، والزيّ، والغذاء، والتراث. وسوف تتناولها بالترتيب كما يلي:

3-1هجرة الشركس والشيشان

يصف أكرم لويزة المجتمع الشركسيّ الأول في موطنه الأول بأنَّه مجتمع أميّ ولا يقرأ ولا يكتب، وأن من يقرأ ويكتب لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة. وفي هذا مبالغة واضحة، ويمكن القبول بأن نسبة الأمية عالمية جدًّا، وأن نسبة من يقرؤون ويكتبون قليلة جدًّا. ويؤكد ذلك (أكرم لويزة) نفسه، إذ يقول إنه كان في المجتمع الشركسي شعراء وشاعرات ينظمون الشعر باللغة الشركسية، وكان طابع الشعر السائد آنذاك حزينًا وتدور حكاياته حول قصص الحب، فيصف بعضها قصة أحد العاشقين قضى بمرض ألمّ به، أو قصة حبيب قتل في معركة بين قبيلته وقبيلة أخرى مجاورة. ومن الأشعار مرثيات الشهداء الذين استشهدوا إبان الحرب الروسية اليابانية، بعد أن جندتهم روسيا وزجّت بهم في ملك الحرب.

لكن ذكريات الهجرة من بلاد القفقاس مؤلمة وحزينة، هذا ما استهلّ به الحاج رمزي حديثه عن رحلة هجرة الشركس والشيشان، من بلادهم إلى موطنهم الجديد (الأردن). ويذكر أيضًا

كإرهاصات تاريخية، أن منطقة القفقاس ذات الأغلبية الإسلامية كانت ساحة حروب استمرت قريبًا من مئة وخمسين سنة، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكانت هذه الحروب بين روسيا وتركيا وإيران والشعوب القفقاسية المدافعة عن حريتها ووجودها واستقلالها، وفي نهاية الأمر سيطرت روسيا الطرف الأقوى عسكريًّا على منطقة القفقاس بأسرها. وأدّى ذلك إلى تهجير نحو مليوني نسمة من الشعوب القفقاسية المختلفة، هلك نصفهم من الجوع والعطش والمرض والغرق في البحر، حيث كانت السفن القديمة تحمّل بغية زيادة أرباح أصحابها بأكثر من طاقتها بكثير، أما المهجرون الذين نجوا من الاستئصال العرقي فكانوا يتكدّسونعلى سواحل البحر الأسود طلبًا للنجاة بأرواحهم إلى خارج أوطانهم من جحيم الإبادة الجماعية، وبتشجيع من الدولة العثمانية آنذاك، وكانت تمثّل بمفهومنا دار الإسلام.

تسارعت موجات المهاجرين في القدوم إلى تركيا بصورة رئيسة، وإلى منطقة سوريا الكبرى، ومناطق أوربا الشرقية التي كانت تحت حكم العثمانيين آنذاك.

وتتابع ياسمين أبده حسبما سمعت من والدها الذي كان يحب أن يذكر أحداث الهجرة ويسردها بشكل قصصي، ويطلب مني دائمًا أن لا أغفل عن سرد تاريخه لأحفاده (وكنت في ذلك الوقت صبية ألعب بالحوش)، حتى يحفظوا هذا التاريخ، ويصقل شخصياتهم. وتقول: وصل أول المهاجرين إلى الأردن عام 1878م، وتبعتهم موجات أخرى حتى عام 1898م. أما المهاجرون الذين قدموا إلى الأردن بعد عام 1898م حتى بداية الحرب العالمية الأولى، فكانت أعدادهم بسيطة بالمقارنة مع أعداد المهاجرين السابقين، ولم تشكّل أكثر من 10% من المجموع العام.

وكان الشراكسة الشابسوغ هم أول من وصل إلى عمان، حيث استقرُّوا في محيط المدرج الروماني، وسكن بعضهم في كهوفه، لأن قبيلة الشابسوغ كانوا الضحية الأولى للاستغلال الروسي

لأنهم كانوا يقطنون ساحل البحر الأسود، حيث بدأت روسيا من هناك للسيطرة وقطع الطريق البحري عن الأتراك، ثم التفرّغ لاحتلال المناطق الداخلية. وصل الشركس في هذه الفترة إلى الأراضي الأردنية، التي كانت تحت حكم العثمانيين (مقابلة مسجلة مع (ياسمين.أبده، 2019/5/7 عمان)).

لم تكن عمان – الوسط – مأهولة، ولا وادي السير كذلك، بل بالعكس تمامًا كانت خرائب مهجورة، لكن المهاجرون بدؤوا بتنظيف المكان وترتيبه، حتى حول السيل؛ إذ كانت الأوساخ كثيرة، وكان كل همنا أن نحصل على المكان الذي تتوافر فيه المياه. وبالفعل استقرّ الشركس عند مصادر المياه في كل عمان ووادي السير وناعور وصويلح والرصيفة وجرش (مقابلة مسجلة (روشن شكري، مقابلة 2019/4/22).

وتؤكّد هذه الرواية ما ذكره عبدالله الرشيد في كتابه (ملامح الحياة الشعبية في عمان "1877–1948)، بقوله: "من المعروف أَنَّ الشراكسة هم أول من استقروا واستوطنوا في مدينة عمان كمجتمع منظم في نهاية القرن التاسع عشر، ولم تكن هذه المدينة قبل هذا التاريخ سوى خرائب ووديان". ويضيف كذلك: "ويصف الدكتور عبدالكريم غرايبة عمان في القرن الماضي فيقول: لم تكن عمان مسكونة في ذلك الوقت، بل بقيت مجرد مجرى ماء يرده العربان، إلى أن استقرّ بها الشراكسة عام 1877م وعمروها، كما عمروا جرش والزرقاء ووادي السير".

ثم يمضي ارشيد ليقول في الصفحة نفسها: "إذن لم تكن عمان قبل هذا التاريخ سوى خرائب مقفرة يقطن حولها بعض البدو الرحل الذين ينزلون إليها طلبًا للماء، ولا يعوزنا الأمر إلى إثبات تاريخي أكثر من ذلك، لنتأكد أن مدينة عمان كانت خالية من السكان تمامًا حتى جاء الشراكسة وعمروها".

واجه الشراكسة ظروفًا صعبة قاسية قبل أن يستقروا ويشعروا بالأمن، أبرزها معارضة القبائل العربية من أهل البلاد، التي رأت في قدومهم تهديدًا لمصادر رزقهم من رعي وفلاحة، ثم خشونة البيئة الطبيعية وقساوتها، التي وجدوا أنفسهم فيها، فالأراضي جرداء تملؤها الأحجار الكبيرة التي تعوق عمل المحاريث التقليدية الصغيرة، فهم اعتادوا فلاحة أراضي خصبة ذات خضرة دائمة ومياه غزيرة.

وصل الشراكسة إلى الأراضي الأردنية على فترات، كما أسلفنا. وتشير الوثائق المتعلقة بتدوين هذه التواريخ إلى أن المهاجرين الذين استوطنوا عمان قدموا في ثلاث موجات حسب الرواية الشفوية، وأيّدها بعض الدارسين ومذكرات بعض من قابلتهم الباحثة نقلًا عن آبائهم في الأعوام: 1878، 1880، 1882م، وموجة صغيرة في مطلع القرن العشرين، وهم الذين سكنوا حي المهاجرين بعمان.

ويستذكر حغندوقة أن حدود عمان الصغيرة، عمان النواة، التي استوطنها الشراكسة خلال موجات التهجير المتلاحقة، كانت على النحو التالي: شمالًا حاووز جبل اللويبدة، والذي كان في الحديقة الدائرية في جبل اللويبدة، وغربًا الدوار الأول في جبل عمان، وجنوبًا سفوح جبل النظيف وموقع المستشفى الإيطالي الحالي، وشرقًا جسر رغدان.

وكان توزيعهم السكانيّ يمتد من وسط المدينة، شارع الملك فيصل، إلى منطقة وزارة الماليَّة على امتداد طريق السلط، وفي مجرى السيل من رأس العين إلى جسر رغدان، ومن وسط المدينة إلى الدوار الأول في جبل عمان، وسفوح جبل عمَّان المطلّة على طريق وادي السير، ثم مرة أخرى من وسط المدينة على امتداد طريق الأمير محمد، حتى طلوع جبل عمان حاليًّا.

وتعتبر نظرية الجذب والطرد من أهم النظريات المفسرة للهجرة وتنص على وجود عوامل طاردة تدفع المهاجر للانتقال وتغيير مكان سكنه ويسمى هذا المكان بمنطقة المنشأ وعوامل جاذبة تدفعه للاستقرار في المكان الجديد وبهذا تندرج اسباب الهجرة هنا بفعل الحروب التي خاضها الشركس والشيشان في موطنهم الاصلي مع الروس والتي شكلت اسباب طاردة لهم.وكان سببا جاذبأنَّ الشركس والشيشان ارتأوا أن تكون وجهتهم الأردن وذلك بفعل إيمانهم المطلق بأنَّ الأردن هي المكان الذي يمكنهم من المحافظة على دينهم كونها بلد عربي وارتباط العربيَّة بالرسول الكريم وهذا هنا يشكل السبب الجاذب.

3-2 التراث المشترك بين الشركس والشيشان

بالنظر إلى وحدة جغرافيَّة المكان في القوقاز ووحدة الظروف التي صاحبت معيشتهم، وأدّت إلى هجرتهم، فإنَّ السمات العامة لكلا الشعبين تعتبر واحدة إلى حدٍّ ما، فعادات الزواج واحدة، ولا اختلاف بينهما إلا بالحفاظ على تلك العادات، حيث إنَّ التغيّر على مراسم الزواج بات واضحًا عند الشركس، أمَّا الشيشان فيعتبر تمسكهم بتلك العادات لغاية الآن أقوى.

تختلف اللُّغة الشيشانيَّة عن اللغة الشركسيَّة كاملة، سواء كانت محكيَّة أو مكتوبة؛ إذ يبلغ عدد أحرف اللغة الشركسية 52 حرفًا، وتصل إلى 60 حرفًا مع الحركات، أما الشيشانية فتبلغ 46 حرفًا، ومع ذلك يشترك الشيشان مع الشركس بالتحوّلات التي طرأت على اللُّغة، من حيث استخدامها والإبقاء عليها، فيعتبر الشركس على درجة أعلى من الانفتاح، ومن ثم كان تأثرهم بالبيئة المحيطة أقوى، واضطرارهم للتعمّق باللغة العربيَّة لتيسير أمورهم الحياتيَّة ساعد على نسيان

اللغة الشركسيَّة. فمعظم الشباب الشركس حاليًّا لا يعرفون عن اللغة الشركسيَّة إلا القليل، مقارنة باللغة العربية.

ويرى مجمل من أجريت معهم المقابلات على اختلاف أعمارهم أن الشيشان يتمسكون بالتحدث باللغة الشيشانية داخل بيوتهم حتى الآن، بل إنه واجب وضرورة قومية، يعاقب من لا يلتزم به من قبل الأهل، وهذا ما يعكس إصرارهم الشديد على الحفاظ على اللُّغة الشيشانيَّة.

المشروب المفضل لدى الشركس والشيشان فهو الشاي، وهم يفضلون طريقة الشاي التركية، المستخدمة في المقاهي الشعبية، فمن الضروري وجود إبريقين: واحد كبير فيه ماء مغليّ باستمرار، وآخر صغير فيه مادة عيدان الشاي وأوراقه المنقوعة. ويقدّم هذا الشاي بوضع كمية من السكر في الكأس، ثم تسكب كمية قليلة من الشاي المتخمّر، ومن ثم يضاف له الماء المغلي حسب طلب الضيف، أو الراغب بالشرب.

أما الغذاء فهو أحد عناصر التراث المشترك بين الشركس والشيشان، ونلاحظ الاعتماد على الدقيق كمادةً أساسيةً في مأكولاتهم، وقد انتشرت المأكولات الشركسية والشيشانية في الأردن من خلال الجمعيات والمطاعم الخاصة بالمأكولات القوقازية، مثل: دار الحلويات القوقازية، التي لها عدّة فروع منتشرة في المملكة.

3-3 تقاليد الزواج

تتضمن تقاليد الزواج الخطبة والمهر وحفل الزفاف (العرس) والمصاريف وغيرها.

- الخطبة:

تبدأ الخطبة بوجود النية لدى الراغب في الزواج وأهله في البحث عن عروس له، فإذا ما وجدوا فتاة مناسبة لدى أسرة معينة، فتذهب بعض النسوة (عادة الأم والأخت وزوجة الأخ) إلى بيت الفتاة لرؤيتها، فإذا ما تم القبول من الفتاة وأهلها اتفق الطرفان على أن يأتي الرجال لخطبة الفتاة.

في المرحلة التالية يذهب الرجال (عادة الأب والعم والأخ الأكبر ومعهم العريس لرؤية العروس) إلى بيت أهل الفتاة، وليتفقوا على المهر وترتيبات الزواج، ثم في مرحلة لاحقة تذهب جاهة كبيرة تضمّ وجهاء العشيرة أو البلدة إلى بيت أهل الفتاة لخطبتها رسميًّا (م. أ. وآخرون، مقابلة بتاريخ 2019/1/2في عمان).

ويرصد (م . أ) التحول الذي طرأ على المجتمع الشركسي حديثًا، إذ صار مقبولًا أن يتعارف الشاب والفتاة، خاصة في الحياة الجامعية، ويبلغان أهليهما بنيتهما الخطبة. فيما كانت الإجراءات السابقة تتم دون أن يتعرّف أحدهما إلى الآخر أو يراه (زمان الشب والصبية ما كانو يشوفو بعضن والإم أو الأخت هي اللي تخطب لأخوها. بس هلأ صارو يتعرفو على بعض بالجامعة، ويبلغو أبياتن وإمياتن إنهن بدّن يتزوجو).

- المهر:

لم يكن مهر البنت الشيشانية محدّدًا، لكن العشيرة اتّفقت على استبدالها بمهر محدد، فيذكر (ميلاد أحمد في 2019/1/7) أنهم اتفقوا على أن يكون مهر العروس سبعين دينارًا أردنيًّا، وكان هذا وقت تأسيس إمارة شرق الأردن وبداية هجرة الشركس قبلها، لكن هذا المهر ارتفع ليصل إلى 260دينارًا، وإضافة إلى خمس قطع رشادية[6]. وهنا ينظر الشيشان إلى العائلات الشيشانية كلها كعشيرة واحدة، فتكون المعاملة واحدة بين الأسر، ويكون المهر موحّدًا.

- الجاهة (التَّمّ):

بعد حصول القبول والإيجاب يرسل أهل الخاطب جاهة كبيرة تسمى جاهة (التَّمّ)، وتعني تمام الأمر والزواج. فتأتي الجاهة ومعها علبة حلوى مزينة بالقماش الساتان، وعلبة أخرى فيها المهر، مزينة بالطريقة نفسها (الخِطبة بتبدا من يوم بيرغب الشبّ بالجيزة، بيصيرو أهله يدورولو على عروس، واذا لاقو وحدة مناسبة بيروحو يشوفوها النسوان بس، وبعدين بيروح العريس.

وإذا تم الموضوع لازم يجيب جاهة كبيرة لأهل العروس اسمها جاهة التمّ، علشان يكملو الموضوع ويشهروا العقد).

- حفل الزفاف (العرس):

يبدأ العريس يوم زفافه باختيار إشبين، وهو صديق للعريس، فيقيم عنده حتى ليلة الدخلة، وكانت الحفلات تقام بالتناوب بين أهل العريس وبين صديقه. وربما استُغني عن هذه الحفلات في الوقت الحاضر، واكتُفي بحفل واحد يوم العرس.

---

6. دينار ذهبي عليه صورة السلطان العثماني محمد رشاد الخامس العثمانيّ.

والإشبين هو من يتحمّل جميع أمور العرس وترتيباته، حتى إن أهل العريس يرجعون إليه في كل صغيرة وكبيرة. ومن شرط الإشبين أن يكون من المقربين للعريس كقرابته، أو صديقه، ويكون متزوجًا لتكون زوجته هي الإشبينة للعروس، فترافقها، ويحلّ الإشبين والإشبينة مكان العريس والعروس في الدعوة إلى العرس، واستقبال الضيوف، وترتيب العرس، ودفع تكاليفه، وهنا تبادر إلى ذهن الباحثة أن الإشبين ينفق على العرس من جيبه الخاص، لكن (س.س.) تؤكد أن المصاريف من أهل العريس، لكنها تسلَّم للإشبين لينفق منها.

وتعود جذور نظام الإشبين إلى أن العريس كان يعدُّ له بيت الزوجية في بيت العائلة، فينتقل العريس إلى بيت الإشبين ليقيم فيه قبل العرس بعدة أيام، ولا يظهر للناس إلا يوم العرس، وقد تغيّر هذا النظام الآن فصار العريس يقيم في بيته (شقته) المستقلّ الذي أثثه للزواج، لكنه لا يظهر إلا يوم عرسه.

كان الشباب يحضرون إلى بيت الإشبين ليباركوا للعريس في آخر الليل قبل يوم العرس، ومعهم إخوانه. وبعد اليوم الثالث قبل العرس يظهر العريس على والده ليوصل رسالة مفادها: (إنني مهما كبرت وتزوجت لا يمكن أن أتكبّر أو أتعالى عليك يا والدي).

وأما تجهيز العروس فيكون مساء يوم الزفاف، فتأتي النساء الكبيرات من عائلة العريس، ويجلسن صفًّا في غرفة واحدة، وتبقى العروس واقفة، وكأنها توحي لهن بأنها خادمتهن المطيعة، كما تكون قد أعدت هدايا من القماش (لِبسة)، فتعطي كل واحدة منهن هديتها.

- الفاردة:

وحين تأتي الفاردة (مجموعة من السيارات) لتقلّ العروس إلى بيت الزوجية، يقف أخو العروس أمام الباب ويغلقه، ولا يفتحه حتى يدفع أهل العريس مبلغًا من المال (عادة 20 أو 50 دينارًا)، ثم تخرج الفاردة بالعروس، فيعترضها أقاربها من الشباب، فيوقفونها، وتكون العروس قد أعدّت محارمَ من القماش لتوزّعها عليهم، وهي إشارة رمزية إلى العفّة والشرف، لكنها اندثرت مع الزمن.

- الضيافة (طعام العرس):

حين تصل العروس إلى بيت أهل زوجها تطعمها حماتها ملعقة من العسل، فكأنها تتمنى لها حياة سعيدة مع عريسها، ثم تحضر إحدى النساء الكبيرات عجينة، وتعطيها للعروس لتلصقها على جدار البيت، كناية عن الالتصاق ببيت الأسرة وبقائها فيه. هنا أشارت (س.أ) إلى أن هذه العادة معروفة ومشهورة عند أهل فلسطين، وبلاد الشام كلها. ولا يعرف من الأسبق في استخدامها.

وأما ضيافة أهل العريس للمعازيم فكانت تتكوّن من فاصولياء بيضاء ولحم عجل ورزّ أبيض، ولكن مجاورة الشركس للعرب جعلهم يضيفون معازيمهم المنسف، الأكلة الأردنية المعروفة.

وأشارت بعض المراجع إلى أن الشركس كانوا يضيفون معازيم العرس طعام الباستا، ويتكوّن من الذرة الصفراء (الهوك) ويضاف إليها الماء المغلي، ثم تطبخ على النار حتى تتماسك، ثم تفرد في صينية، وتقطع بالسكين، ويغمّس فيها بالشبس، كما يقدم معها أيضًا، الدجاج المطبوخ (أسعد العزوني، الخطيفة... أبرز عادات العرس عند الشركس، جريدة الراية القطرية، الجمعة 20/ 7/

2018م). وتطابقت هذه المعلومات مع ماأتى على ذكره السيد (ز.ش بتاريخ 2018/12/3بيادر وادي السير)

- مرافقات العروس:

ويرافق العروس بنات أعمامها وأخوالها، أما العمة والخالة والأم فلا يجوز أن تحضر العرس، وكذلك الذكور المقربون ليس لهم أن يحضروا العرس، وقد تكون ضمن المرافقات امرأة كبيرة السن تجلس في الكرسي الأمامي لسيارة العروس، وتتولّى هذه المرأة تسليم العروس إلى عريسها.(ز.أ2019/3/22صويلح)

وبذلك تنتهي مراسم العرس وتعود المرافقات إلى منطقتهن، ويعدّ لهم أهل العريس فخذ خروف مشوية، ويزينوها بالورد والقماش الساتان، وتكون بدل عشاء لأهل العروس.

- كشف العريس (ردّ الرِّجْل):

بعد أسبوعين تعود العروس إلى بيت أهلها يرافقها العريس، وتكون هذه هي المرة الأولى التي يزور فيها العريس بيت أهل زوجته، وتسمّى كشف العريس (نوتس أوتر) باللغة الشيشانية، فيقف عند باب أهل زوجته حتى يؤذَن له بالدخول، ويبدأ الشباب بالمزاح –معه، كأن يكسروا بيضة في جيبه، دلالةً على أنَّه أصبح من أهل البيت.

- يشار هنا إلى أن هذه العادة موجودة لدى الأردنيين وتسمى "ردّ الرجل"؛ كناية عن زيارة العروس بيت أهلها لأول مرة بعد زواجها، ويرافق ذلك عند الأردنيين إعداد طعام غداء، يعدّه أهل العروس لابنتهم ولزوجها ومن يرافقه من أهله.

وثمة طقوس أخرى لهذه العادة؛ إذ بعد أن يوضع طعام الغداء الذي أعدّه أهل العروس، يجلس أهلها وأقاربها، ويبقى العريس واقفًا ينتظر أن يسمح له بالدخول عن طريق الإشبين، الذي يستأذن له بالظهور على أهل بيت زوجته، فيقف على أكلهم، ولكنه لا يجلس ولا يشاركهم حتى يعطوه الإذن بدخول غرفة الضيوف، فيدخلها هو وأصحابه المرافقون له، فيجهّز أهل زوجته طعامًا له، ويجلس معهم إخوان العروس.

بعد ذلك تستأذن الإشبينة لدخول العريس عند النساء، اللواتي يجهزن الهدايا، ويبدأن بمازحة العريس إيذانًا بأنه صار من أهل البيت. وبعد انتهاء هذه المراسم يعود العريس إلى بيته تاركًا زوجته عند أهلها ثلاثة أيام، فتأتي النساء لأخذها من بيت أهلها. وبعد ذلك يعد أهل العريس وليمة لأهل العروس الذين لم يحضروا عرس ابنتهم، وبذلك تزول كل الحواجز بين العائلتين.(مجموعة تركيز 2019/5/7 السخنة)

- جهاز البيت:

لا يتدخل أهل العريس بما تجهزه العروس لبيتها من أثاث وغيره، بل إن مسؤولية تجهيز البيت على والد العروس، وكل ما يفعله العريس هو أن يحضر خاتم الزواج (الدبلة)، وأما جهاز الملابس وتجهيز العروس في الصالون وفستان العرس فيتكفل به والدها.

- الطلاق:

تكاد نسبة الطلاق أن تكون معدومة، بسبب سيطرة العادات والتقاليد التي تحدّد العلاقات، وتفرض نطاقًا من الاحترام بين الزوجين وأهليهما، فتنتفي المشكلات.

وعلى الرغم من أن (م.أ وآخرون) يرون أن العادات تحمل صفة الإلزام. ويجب احترامها؛ إلا أنهم يرون أنها سهلت نوعًا ما، وبقيت العادات الخاصة بالزواج قائمة وممارسة. وفي هذا تأكيد من الشركس لأهمية الأسرة ومتانة النسيج الاجتماعي.

ويرى أحد الشراكسة، وهو متقاعد من الخدمة العسكرية، أن هناك بعض الثوابت في المجتمع الشركسي قلّما يشذّ عنها أحد، ومنها فيما يتعلق بالعلاقات الأسرية اعتبار الطلاق ظاهرة غريبة ودخيلة على مجتمعهم، ومنها تغريب النكاح، فأولاد الأعمام وبناتهم، وأبناء الأخوال وبناتهم يشكّلون عائلة واحدة كالأشقاء، فيستبعد الزواج بينهم، كعرفٍ سارٍ، بل يتزوجون من خارج الأسرة، تغريبًا للنكاح.

ومن ثوابتهم تحنب الزواج بزوجة ثانية، إذا كانت الأولى موجودة،؛ فهم يرفضون تعدّد الزوجات كعرفٍ اجتماعيّ، على الرغم من اقتناعهم بإباحته شرعًا.

- زواج الخطيفة:

على الرغم من حساسية الموضوع لدى الشركس إلا أن الباحثة وجهت للضيف (ذاكر أمين 2019/3/22 بعمان) سؤالًا حوله؛ ليوضّح هذا الأمر، بدءًا من خلفيته التاريخية وقوانينه. فقال: كان الشعب الشركسي والشيشاني في حروب متواصلة، وكان الذكور هم من يخوضون هذه الحروب، ونتج عن ذلك أن كثيرًا من الذكور هم من ضحايا إصابات الحروب، فمنهم من بترت إحدى أطرافه، أو تشوّهت خِلقته، بجروح أو حروق، وحينما يأتي هذا المصاب ليخطب فتاة معينة فإنها ترفض الزواج منه. فيلجأ إلى هذه العادة، التي أصبحت عرفًا له نواميسُ وقواعدُ.

ومن تفاصيل هذه العادة أن عملية الخطف لا تكون إلا بموافقة الفتاة ورفض أهلها تزويجها من الفتى المصاب مرتين أو ثلاثًا، فيتفق الشاب مع الفتاة أن يخطفها من بيت أهلها.

تتم عملية الخطف بوجود الإشبين وزوجته؛ إذ لابد من وجود العنصر النسائي ليسهلها، وتكون العملية بالسرّ، فيذهبون إلى بيت الفتاة، ويأخذونها، ثم يذهبون بها بدون العريس إلى بيت أحد الوجهاء.

ويلاحظ أنه إذا لاحظ أحد العملية أو أمسك بالخاطف فإن العملية تتحوّل إلى قضية شرف، وقد يقتل فيها الفتى، فإذا ما تمت العملية فإن الخاطف ومن معه يطلقون الرصاص في أول البلد ليعرف الناس أنه قد تمت عملية خطيفة.

وينبغي اختيار وجيه معين من وجهاء العشيرة أو المنطقة؛ بشرط أن لا يمتّ للفتاة بصلة قربى، ولا يعرف والدها، فإذا جاؤوا إليه بها، فإنه يسألهم عن البنت المخطوفة من تكون؟ فإذا كان يعرف والدها فإنهيرفض استضافتها، فيبحثون عن وجيه آخر.

أما إذا قبل استضافتها فإنها تصبح واحدة من بناته، وتعامَل بمعاملتهن، بل إنها تناديه: "بابا"، وتصبح هذه العائلة عائلتها الجديدة، ولا ترجع إلى أهلها نهائيًّا، إلا إذا رغبوا هم بذلك.

بعد ذلك يجمع الوجيه أولاده وأقرباءه على وجه السرعة، ويخبرهم بأن لديه خطيفة، وعليهم أن يحموها، ثم يرسل أحد أقربائه من كبار العائلة إلى والد العروس ليخبره بأن ابنته لديهم، وأنها بأمان في دار فلان (الوجيه)، وأن علينا أن نحلّ الموضوع، ونحفظ واجبك!

يرسل والد الفتاة وإخوتها بعض نساء العائلة إلى الفتاة ليحاولن إقناعها بالعودة، فإن وافقت فلا بد من موافقة مستضيفها الوجيه، فله أن يمنعها من العودة إلى أهلها، لأن في ذلك سقوطًا في

هيبته من عين أقاربه وعشيرته، ولكن هذا الأمر أصبح متروكًا للفتاة، فهي من تقرر العودة أم لا، دون أن يؤثر ذلك في مكانة مستضيفها.

وتؤكد (سارة ساكو) أن المجتمع الشركسي يعتبر الخطف حالةً عادية جدًّا ومقبولة، ويحفظ للفتاة الخطيفة حقوقها الزوجية كالمهر وغيره، بل تعامل معاملة العروس التي تخرج من بيت أهلها، وهي تؤكد أن عملية الخطف لا تسيء للشرف، إذ إن الخطيفة تبقى مصونة في بيت الوجيه كإحدى بناته، ولا يحدث أي لقاء منفرد بينها وبين خاطفها (العريس)، بل أحيانًا لا تظهر على عريسها إلا في يوم عرسها، بعد إتمام إجراءات الزواج كالعادة كاملة.

ومع الأيام قد تعود الأمور بين الفتاة الخطيفة وأهلها إلى طبيعتها. فتستذكر (سارة ساكو) أن إحدى قريباتها قد خُطِفتْ، وبعد عشرين عامًا عادت إلى بيت أهلها، لكن أباها لم يسمَح لها برؤيته أو مقابلته.

وهذا يدعو للتساؤل حول التناقض الذي يحصل عند الأهل في مسألة الزواج والذي يعتبر قضية جدلية حتى عند النساء الشركسيات انفسهن وهو أنه وحسب عادات وأعراف الشركس أو الشيشان يحق للمرأة اختيار الزوج ولا يحصل الإقتران دون موافقتها ولكن في نفس الوقت إذا أقدمت الفتاة على الزواج بطريقة الخطيفة لأي سبب وغالبا ما يكون أن الأهل لديهم وجهة نظرمختلفة في الزوج المختار فإن الفتاة تتعرض أحيانا للقطيعة من قبل أهلها.

3-4اللُّغة

تعتبر لغة أي شعب وعاء موروثها الثقافي وهويتها القومية، وأي وهن أو ضعف يصيب اللغة في تطوّرها ونموّها، وتعاملها مع الحاضر والمستقبل، ويؤثّر سلبًا في الموروث الثقافي وفي الهوية القومية؛ لأن اللغة تعتبر كالكائن الحي الخاضع لمتطلّبات التطوّر الحضاري.

كما أن تأثر لغة أقلية ما في مجتمع يعيش ضمن مجتمع كبير وبتراث حضاريّ غنيّ، يكون أكبر وأعمق، حين تكون لغة الأقلية محكية فقط، كما اللغة الشركسية في المجتمعات المحلية في الأردن.

أما اللُّغة الشركسيَّة المكتوبة آدابها، وثقافتها، فإنها ممارسة عند بعض الشركس في الجمهوريات الشركسيَّة، ذات الحكم الذاتي في القفقاس (حسب إجماع الشخصيات المقابلة)؛ ولذا فإننا سوف نقسم مسار استخدام اللُّغة الشركسيَّة منذ عام 1878 حتى يومنا هذا إلى ثلاث مراحل كما يراها ويؤكدها الأغلب من المجموعات التي قابلتهم الباحثة) على النحو التالي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة (أحادية اللغة الشركسيَّة) في عمَّان وقراها المجاورة، وقد امتدت من عام 1878 حتى عام 1914م، إذ كان الشراكسة في هذه المرحلة رعايا في الدولة العثمانيَّة يخدمونها ويلتحقون بصفوفها، وعليهم حماية الأراضي وخاصة طريق الحج (مقابلة مع محمد طوق).

المرحلة الثانية: وهي مرحلة (ثنائية اللغة) العربيَّة والشركسيَّة امتدت ما بين عامي 1925-1956وهذه الفترة هي ما بعد تأسيس الدّولة الأردنيَّة، حيث أخذت الرؤيا لدى الشركس الذين كانوا رعايا للدولة العثمانيَّة تتضح، وقرّروا أن يبقوا في الأردن، ومن المنطقي أن الجيل الأول الذي قدم

ما زال على قيد الحياة، ومن ثم كان المفروض أن يكون التواصل معهم باللغة الشركسيَّة، حتى إن بعض المقابلات أشارت إلى أن العرب المحيطين بأماكن وجود هؤلاء اضطروا إلى تعلّم اللُّغة الشركسيَّة المحكيَّة لتسهيل تعاملات البيع والشراء بين الطرفين، وتسهيل سبل التواصل بينهم.

بدأ انتقال المواطنين من مختلف مناطق الإمارة إلى العاصمة للانخراط في صفوف الجيش الناشئ ودوائر الدولة الرَّسميَّة والشرطة وغيرها من المرافق الرَّسمية. وهذا التدفق السكاني، وإنْ بدا متواضعًا بحكم محدودية المساكن في عمان، إلا أنَّه كان كافيًا لتغيير التركيبة السكانيَّة، ليصبح المجتمع المحليّ من أصول شركسيَّة جزءًا من مجتمع أكبر بتقاليد وعادات مختلفة، فأخذت تتبلور في المجتمع الأكبر الجديد لعمان خصائص مشتركة، وقد تأثّرت المجتمعات المحلية الأردنية من أصول شركسية بهذا التغيير، وكان من أبرز خصائص هذا التأثر استعمال اللُّغة الرَّسميَّة للدولة (العربيَّة) وشؤون الحياة العامّة، وبقيت اللُّغة الشركسيَّة لغة التخاطب داخل العائلات الشركسيَّة، وفي تجمعاتهم الخاصّة بهم، كالمضافات، والحفلات والأعراس،...إلخ.فالجيل الأول من المهاجرين لا يزال على قيد الحياة، فكان يتعذر مخاطبة كبار السنّ منهم باللغة العربيَّة.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة (أحادية اللُّغة) العربيَّة. ولما كانت عملية التغير الاجتماعيّ تتمّ ببطء غير ملحوظ آنيًا، فقد اعتبرت السنوات الفاصلة، والمغفل ذكرها، بين تلك المراحل مرحلة انتقالية كانت تنشط فيها العوامل الداخليَّة والخارجيَّة، التي هيأت ومهّدت، للانتقال من مرحلة لأخرى.

أما الشيشان فينظرون أن الحفاظ على اللُّغة وتعليمها للصغار من المهام الأساسيُّة التي يقوم بها الأهل تجاه أولادهم.

ويعزو (موسى أمجد) سبب اقتصار الحديث داخل البيوت الشيشانيَّة على اللُّغة الأم إلى إصرار الشيشان على المحافظة على اللُّغة والثقافة الشيشانيَّة بين أفرادها، ولذلك فإنهم يوبّخون كل من يتحدثون بغير الشيشانيَّة.

وقد أعجب الشيشان الروس الذين زاروا الأردن حديثًا بدرجة نقاء اللُّغة الشيشانيَّة بين الشيشان الأردنيين وتداولها بينهم حتى الآن(ف.ش2019/7/2 صويلح).

كما تفاجؤوا من استمرارهم في المحافظة على التراث والعادات والتقاليد، خاصة في طريق تحضير الطعام الشيشاني، ويعتقد (موسى أمجد) أن إصرار الشيشان على المحافظة على لغتهم وتقاليدهم يرجع إلى أملهم بالعودة يومًا إلى موطنهم الأم.

تقول الحاجة (بدرية)، وهي من المعلمات المخضرمات في تعليم اللُّغة الشيشانيَّة، وهي تعقد دورات لتعليم اللغة: إن الشيشان قد حافظوا على اللُّغة الأم حتى اليوم، وأن هناك عائلات قليلة تخلط بين العربي والشيشانيّ في الأردن، مقارنة بالشيشان في دول أخرى، وتضرب بدرية مثالًا لذلك أن بعض العائلات الشيشانيَّة المقيمة في سورية عندما جاءت إلى الأردن لم يستطيعوا التخاطب معهم باللُّغة الشيشانيُّة، واكتفوا بالتخاطب باللُّغة العربيَّة وقد عقدت الحاجة بدرية لهم عدة دورات لتعليمهم اللُّغة الشيشانيَّة، من خلال الجمعية الخيريَّة الشيشانيَّة في صويلح.

وتضيف الحاجة بدرية أَنَّها زارت جمهورية الشيشان، وتفاجأت أن الشباب الشيشانيين هناك يتحدثون لغتهم الشيشانيَّة الأم بلكنة روسيَّة، تكاد تنسيهم اللغة الشيشانيَّة.

إِنَّ مما يحمد للحكومة الأردنيَّة إتاحتها المجال للأقليات، مثل: الشركس والشيشان، المحافظة على لغتهم وتراثهم الخاص بهم، مع توفير التعليم باللّغة العربيَّة.

أما الحاجة (نعمت) فتقول إن الأغلبية العظمى من الشيشان يتحدّثون بطلاقة، بطريقة محكية، لكنهم لا يكتبونها، وترى أطفال الشيشان يعانون كثيرًا في تعلم اللغة العربية، ولذا لا يتكلّمون العربية بطلاقة، وهذا ما اضطرّ الأهالي إلى جعل أطفالهم يختلطون بأطفال جيرانهم العرب ليتعلموا منهم العربية، لكن المشكلة أن تأثير الشيشان بالأطفال العرب كان أكبر؛ إذ تعلّم هؤلاء اللغة الشيشانية.

وإضافةً إلى هذه المشكلة فإنَّ وجود نظامين لتعليم اللُّغة أوجد فجوة في تعليم الأطفال الشيشان، وتقول (مسعودة سولا) عن ذلك إنَّ لديّ ابنتين تؤأمًا في الصف الثالث في مدرسة حكومية أردنية، إلا أنهما ليستا من المتفوقات بسبب ضعف التحصيل في اللغة العربية، فهما تدرسان في المدرسة باللغة العربية، وحينما تعودان إلى البيت لا يسمح لهما إلا بالحديث باللغة الشيشانية، مما يضطر الأم (مسعودة سولا) إلى ترجمة ما يدرسانه بالشيشانية، حتى يفهما ما هو مطلوب منهما.

كما أنهما تواجهان صعوبات بالتواصل مع زميلاتهما داخل الصف، والمدرسة. وتضطر (مسعودة سولا) إلى زيارة المدرسة أسبوعيًّا لمتابعة حصيلة الواجبات؛ لتدريسهما عليها .

3-5 الزي واللباس

وجهت الباحثة سؤالًا عن طبيعة الزي الشركسيّ، ومواصفات الألبسة التي يرتديها الشراكسة بعد هجرتهم إلى الأردن، وما مواصفات الألبسة التقليديَّة الخاصة بالمناسبات، وما أزياء النساء الخاصة بهم؟

وأجابت عن ذلك الحاجة (يلمز) مستشهدة بما كانت تسمعه من والدتها، فتقول: كانت جدتي (والدة أبي) خياطة، ولم يكن لديها ماكينة خياطة، فكانت تجمع الصبايا وتعلمهن الخياطة والتطريز باليد. وكانت تفصل الأزياء للرجال، ويتكون من قميص طويل يشبه العباءة، ويصل إلى الركبة ومفتوح كله من الأمام، وله زرّ عند الخصر، وهو من قماش سميك سادة من عدة ألوان: بيج أو خمريّ أو أسود، وعادة ما يكون اللون الأسود للفارس، ويكون الكمّ طويلًا حتى يمكن كفّه إلى حد الذراع، ويلبس تحته قميص رقيق مع سروال، وعلى الرأس قلبق، إضافة إلى التحزم بزنار وخنجر، وأما الحذاء فيكون من الجلد، وقد بقي هذا اللباس مستخدمًا لفترة طويلة، حتى خمسينات القرن الماضي تقريبًا. إذ صار الشركس يلبسون لباسًا إفرنجيًا (بنطلون وقميص وجاكيت)، وصار لباسهم المذكور لباسًا تراثيًّا يرتدونه في المناسبات والأعياد، أو يرتديه كبار السنّ منهم؛ إذ كان من المعيب لبس اللباس والعربي للرجل الشركسي، إذ يواجه ذلك بنظرة عدم احترام!

وتقول (جنات أحمد) ابنة الحاجة يلمز إن الأمهات الشركسيات يشجعن بناتهن على المحافظة على جمال قوامهنّ، ويوصينهن بجعل الثوب واللباس يظهر جمالهن وحلاوتهن، ولذلك فإن الثوب الشركسي النسائي يبرز جمال جسم الفتاة الشركسية، وتصبح به ذات رشاقة عالية.

يتألف الثوب النسائي الشركسي من رداء خارجي مفتوح يشبه رداء الرجل، ولكن له من الأمام ثلاثة أزرار ذهبية أو فضية، وأكمامه ضيّقة عند الكوع، وتبدأ بالتوسع والطول، ليصل طول الأكمام إلى الركبة، وعلى نهاية الأكمام تطريز ذهبيّ أو فضيّ، ليضيف صبغة جمالية وقيمة إلى الثوب، ويلبس تحت هذا الرداء ثوب طويل أو تنورة طويلة مرزكشة، وعلى الرأس قبعة وغطاء للرأس، وأما الزنار فيكون معدنيًّا مزينًا بنقوش ذهبية أو فضية جميلة.

6-3 الطعام والغذاء

يتميّز المطبخ الشيشانيّ باعتماده على الدقيق في أغلب المأكولات، ومن أشهر الأكلات لديهم، والتي تمثل أكلات تراثية:

1. الجلنش: وتلفظ الجيم هنا كلفظها باللكنة المصرية، وتكتسب هذه الأكلة قيمتها كطبق تراثي رئيس، إذ يقول المثل الشيشاني: "من لا يحب الجلنش ليس شيشانيًّا". ويعتمد هذا الطبق على الدقيق الأبيض والأسمر، والثوم، والبصل، واللحم أو الدجاج.
2. الكرزنش: ويعتمد أيضًا هذا الطبق على الدقيق الأبيض والأسمر، والثوم، والبصل، واللحم. وتكون العجينة غير مختمرة، وتُحشى باللحم.
3. البيرم: يتناوَل على الفطور، ويحضّر بتفتيت نوع خاص من الجبن واسمها (القلد)، ويضاف لها القشطة لتصبح متجانسة، وتؤكَل مع الخبز الشيشاني.
4. القلددات: تفتّت كمية من القلد ويسخّن السمن البلدي في مقلاة، ويسكَب على القلد، ويؤكَل مع الخبز.
5. القلدا، والكلد: هي الجبنة المسحوب منها الدسم، تتميّز بأنها تفتّت إلى حبات صغيرة، وهي مادة أساسية لتحضير عدّة أكلات وحلويات شيشانية.
6. وتقول إحدى السيدات الشركسيات (نوران)، وتبلغ من العمر 79 سنة: إن صناعة الخبز والمعجّنات كانت تتم في البيوت، حيث كان لكل عائلة طابون خاصّ بها، وكانت فتحة الطابون أمامية أو فوقية، والطابون مصنوع من مادة الطين الأصفر

لقوة تماسكها بعد جفافها، وكان قطر الطابون بحدود متر مربع واحد، وارتفاعه يتراوح بين 25–30سم، تعلوها قبة خفيفة الانحدار لضمان تماسكها.

ومن أشهر الحلويات الشيشانيَّة:

1) كيكة العسل: وهي من أشهر الحلويات الشيشانيَّة أو القوقازيَّة، وتتكوّن من دقيق، وعسل، وزبدة، وخميرة، وبيض، وسكر.
2) البعرش (الجوزية): تتكوّن من دقيق، وزبدة، ونشا، وسكر، وبيض، وفانيلا. وتعتبر من الحلويات التي تحضر في جميع مواسم السنة، لكنها طبق الحلو الرئيس في الأعياد، ويتميّز أيضا بتغيّر مذاقه حسب الحشوة المستخدمة.
3) جرزني، وهي الحلاوة الشيشانية.

3-7 العلاقات الاجتماعيَّة

- مضافات الرجال:

رصد عدد من الرجال الذين قابلتهم الباحثة التغيّرات الاجتماعيَّة التي طرأت على حياة المجتمع الشركسيّ الاجتماعيَّة، فقال أحدهم، وهو يبلغ من العمر 83 سنة: لقد كانت المضافات تغصّ بالوجوه من كبار السن في المجتمعات المحلية، كما كانت المضافات تناقش أمور الحياة اليومية، ويستعرضون فيها ما يقع من أحداث، كما يستذكرون وطنهم الأم، ويعبرون عن حنينهم له.

ويتحدثون كذلك عن تجاربهم الشخصيَّة خلال مأساة تهجيرهم، وكان الجيل الثاني الذين هم دون الأربعين، يقومون على خدمة كبار كبار السن، ويستمعون لمآثر أجدادهم، وهم واقفين إذا لم يجدوا مكانًا.

- مضافات الفتيات:

كانت غرفة الضيوف إذا ما توافرت لدى العائلة الشركسيَّة مضافة للفتيات، يستقبلن فيها زائرينهن من الشباب، وكانت العائلة تسهّل الزيارات، وترحّب بهم بقصد تشجيع التعارف بين الفتيات والشباب، حيث كان الحديث بينهم يجري عن الأحداث الاجتماعية التي جرت وتجري في المجتمعات المحلية في زيجات وأعراس وأخبار الحياة اليومية المتداولة.

وكانت مثل هذه الزيارات المتكرّرة للمضافات واللقاءات في حفلات الرقص، وتمهّد السبيل لتعزيز التعارف الحقيقي، ولتؤدي إلى زواج ناجح بعد الوصول إلى مرحلة تبادل مشاعر الحب. وتتم مثل هذه الزيارات في هذه المرحلة دون مواعيد مسبقة سوى التهيئة لها بأن الفتاة موجودة في البيت؛ إذ إن الفتيات كن يتوقعن مثل هذه الزيارات، وخاصة في ساعات ما بعد الظهر والمساء.

- السهر والاحتفال:

اعتاد الشراكسة زيارة المريض والسهر عنده لتسليته والتسرية عنه، فتمارس عنده الألعاب الخفيفة الداخلية، والمسابقات بين الفتيات والشباب، حتى يبقى المريض مستيقظًا طوال الليل، وليتمكن من النوم نهارًا، وخاصة إذا كان مرضه الكسر في العظام.

الاندماج في المجتمع الأردنيّ:

بدأت ملامح الاندماج المجتمعي تظهر في أوائل مراحل استقرار الشركس. ففي عام 1912م حدثت أول مصاهرة (مامسر، مج5، ص529) بين الشركس والعرب، فتمت أول حالة زواج، ومن بعدها أصبح الزواج المتبادل بين الشركس والعرب ظاهرة إيجابية أخذت بالتطور لتدلّ على مدى الاندماج بينهم، والتقبّل الاجتماعي الذي يلغي الحساسيات التي طرأت في بداية استقرارهم.

وفي دراسة ل(محمد عبد الكريم الحوراني) بعنوان إعادة إنتاج الهوية الإثنية في المجتمع الأردني كان هدفها الكشف عما اذا كانت الاقليات قادرة وتعمل على انتاج هويتها من خلال نظرية التشكيل لدى أنتوني بدراسة عوامل معينة (التنشئة الاثنية، إدراك المرجعية الإثنية، والعلاقات الإثنية،ومحفزات الفاعل الإثني، واللغة الإثنية).,

نلاحظ أن هذه النظرية والعوامل قد فسرت بشكل كامل الابقاء على الهوية واعادة انتاجها في ظل التغيرات الاجتماعية المتزامنة مع الإندماج المجتمعي ويظهر هذا جليا من خلال هذا الفصل الذي تطرقنا به لإثنوغرافية الآقليات من حيث الحفاظ على اللغة والعادات الاجتماعية الممارسة من قبلهم.

دور الأردن في بناء مجتمع شركسيّ أردني متميّز:

أكّد معظم الذين قابلتهم الباحثة أنَّ الحكومة الأردنيَّة منذ عهد الإمارة قد أسهمت في نمو المجتمع الشركسي والشيشاني في الأردن واستقراره، فقد أصدر الأمير عبدالله عفوًا عن الشراكسة الذين حاربوا مع القوات العثمانية ضد القوات العربيَّة والإنجليزيَّة في الحرب العالميَّة الأولى والثورة

العربيَّة الكبرى، بل وقرّب إليه ميرزا باشا قموه، الذي كان لفرقة الشركس والشيشان التابعة للدّولة العثمانيَّة، وعيّنه مستشارًا عسكريًّا له، فأصبح بذلك أول مستشار عسكريّ لسموّ الأميرعبدالله بن الحسين مؤسس الإمارة والمملكة.

وقد توافق معظم من قابلتهم الباحثة من كبار السن وأكّدوا أن سبب اندماج الشركس والشيشان بجيرانهم العرب هو الدعم الحكومي بداية، وتقبُّل العرب لوجودهم، والتعاون في شتى المجالات، استشعارًا منهم وبوحدة الأرض والدين والمستقبل، مقرين ومعترفين بأن لهم ما للعرب، وعليهم ما عليهم.

واستذكر الجميع إنشاء الحرس الملكي (الأميري) في السنوات الأولى من عهد الإمارة، وتألف هذا الحرس من 40 فارسًا شركسيًّا، واعتمد الزيّ القوميّ الشركسيّ لباسًا رسميًّا للأفراد، وما زال حتى الآن على النهج نفسه. وحسبما ذكر (ز.ج.) فإن هذا كان مدعاة للفخر بأننا رعايا أردنيون، وإن كنا شراكسة (مقابلة شخصية 2/ 1/ 2019م، بيادر وادي السير).

كما استذكروا ما فعلته الحكومة الأردنيَّة من منح الجنسيَّة الأردنيَّة عام 1948م للشركس الذين وقفوا في الأسر في إيطاليا بعد انتهاء الحرب العالميَّة الثانية عام 1945م واستضافهم. وكان لهذا كبير الأثر الإيجابيّ، بل والشعور بالامتنان، فعمّق لديهم حسّ الانتماء والشعور بالواجب بأنَّ يرد المعروف، ويثبتوا للجميع أنهم يستحقون هذا المعروف (المقابلة السابقة نفسها).

واستذكر (جمال إسكندر) عدة أعمال قام الملك الحسين بن طلال –رحمه الله– لدعم الشركس والشيشان، مثل تبرّعه بمبلغ كبير من جيبه الخاص لصندوق دعم الشراكسة النازحين عن الجولان السورية عام 1967م. ومنحه قطعةَ الأرض التي أقيم عليها مقر الجمعية الشركسية

في بيادر وادي السير. وكذلك دعم جلالة الملك الحسين للأبخاز في حربهم ضد الجورجيين، بإرسال معونات لهم، واستقبال كثير منهم للعلاج في الأردن. وهذا الدعم أثبت لهم اهتمامه رحمه الله بهم وبما يمر بهم من ألمٍ، ووقوفه معهم؛ فألمكم هو ألمنا (مُقابلةجمال إسكندر)، 2019/4/2، وادي السير).

ويذكر الذين قابلتهم الباحثة اهتمام الملك الحسين ووالدته الملكة زين الشرف –رحمهما الله– بالفلكلور الشركسي وفلكلور الرقص الشرقي الشركسي، ودعمهما لتشكيل أول فرقة للرقص عام 1957م، واعتباره فلكلورًا أردنيًّا، وتقديمه في الحفلات الملكية والرسمية.

واستشعر المقابلون من قدمته الرعاية الملكية من تقديم لإخوتهم العرب، والسماح لهم بممارسة عاداتهم وتقاليدهم بحرية خالصة، بل وتسليط الضوء على تلك العادات؛ مما كان له الأثر الكبير في اندماجهم بالمجتمع العربي الأردني.

أما في عهد جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين –حفظه الله– فقد أنعم على الشركس والشيشان بالإنعامات التالية:

-منح لقب أميرة للسيدة سناء عدنان كلمات شيكاخوا، حرم سمو الأمير عاصم بن نايف بن عبدالله، اعتبارًا من 28/ 6/ 2001م.

- شمل أبناء العشائر الشركسية بالمكرمة الملكية الخاصة بالمنح الدراسية عام 2006م.
- رعاية المؤتمر الدولي الأول للغة الشركسية 15– 16/ 10/ 2008م في عمان.

وأسهمت هذه المكرمات – كما يرى الذين قابلتهم الباحثة – في رفع الروح المعنوية لدى الشراكسة، وشعورهم بالفخر والامتنان للأردن حكومة وشعبًا.

3-8 التعليم عند الشركس والشيشان

حافظ الشركس والشيشان منذ استيطانهم الاردن على حياتهم الاجتماعيَّة والثقافيَّة من لغة وعادات وتقاليد الى الحد الذي تمكنوا منه وعاشوا في تجمعات ليكونوا قريبين من بعضهم البعض وعلى الرغم أن هذه المجتمعات مجتمعات أمية لم تكن تقرأ ولا تكتب إلا أنهم سعوا جاهدين لتمكين أنفسهم في المجتمع الجديد وخاصة لأن نظام التعليم في الأردن نظام أخذ بالتطور تدريجيًا وأصبح من ضروريات الحياة فقد اتخذ الشركس والشيشان نهج جيرانهم الأردنيون فتذكر الحاجة بدرية أنه ومنذ قدومهم الى صويلح شرعوا في تأسيس النادي الشيشاني والذي كان يقدم دروس للاطفال في تلك الفترة عن اللغة والتاريخ الشيشاني .

يروي قناش أنه درس في الثلاثينات في مدرسة بجبل اللويبدة وكان من أول فوج يتعلم في المدارس وأن في تلك الفترة لم يكن الاهتمام شائع جدا بمسألة التعليم ولكن بعد ذلك أخذت فكرة التعليم تنتشر وتظهر بصورة جلية وواضحة حتى أَنَّ الآن أصبحت السمة الغالبة على على الشركس أو الشيشان صفة المجتمع المتعلم بعد أن كانوا مجتمعًا أميًّا لا يجيد القراءة أو الكتابة إلا القليل جدا منهم.

ويعزى هذا التغير الإيجابيّ لما تقدمه الحكومة الأردنيَّة من اهتمام بالعمليَّة التعليميَّة ودعم لانخراط الاجيال في تلك العملية وقد تعددت التخصصات التعليميَّة سواء من الشيشان أو الشركس.وتذكر أ.ش لا يمكن البنت او الشب يوقفوا بعد التوجيهي ولازم يكملوا الدراسة الجامعيَّة واللي حظه بيقصر بيدرس برة الأردن أنا مثلا درست هندسة مدنية بأول التمانينات بروسيا وماكان عند أهلي مانع أتغرب عشان أتعلم مع أنه كل عشيرتنا هون وما الي حدا هناك.

أما ب.ن فتقول:أنا رفضت أن أدرس في الأردن وطلبت من أهلي أن أدرس البكالوريوس في روسيا وساعدني بذلك رغبة أبي أن أتعلم اللغة الروسية وبعد أن أنهيت البكالوريوس توجهت لدراسة الماجستير في ألمانيا ولم أجد أي معارضة

على العكس من الشيشان فقلة من الفتيات من تدرس خارج الاردن أو حتى خارج عمان فاغلبهن يدرسن في عمان ومن لم يسعفها حظها بقبول جامعي تجدها تدرس نظام المعهد أو الكلية المتوسطة في هذا الشأن تقول:س.ا لقد حصلت على قبول في جامعة اليرموك بإربد لكن والدي وإخواني اعترضوا وأقنعوني بدراسة دبلوم الشريعة الاسلاميَّة في كلية في عمّان فالمهم بالنسبة لنا أن نتعلم .

وتسرد الحاجة ن.أ أن التعليم الاساسي مهم للجميع لكن حاليا التعليم بعد التوجيهي فهو يهم أكثر للفتيات فإنه مفتاح للعالم من حيث الوظيفة والتي من الممكن ان تحدد معايير الزواج واختيار الشريك للفتاة فالتعليم سلاح تحارب به الفتاة لكنه بالنسبة للشباب ليس ضروريًا كما هو للفتيات مع العلم أنه في السابق لم يكن هناك اهتمام بتعليم الفتيات، وذلك لأن متطلبات سبل العيش من مسؤولية الرجل وبالتالي يستطيع أن يؤمن قوت يومه إما بممارسة حرفة أهله أو بالالتحاق بالجيش أو الامن وبالفعل تجد أكثر من أتموا تعليمهم الجامعي يلتحقوا بدورات الجيش كون هذه الوظيفة مضمونة وهي تتناسب وتاريخ الشيشان والشركس فهم بالأصل أصحاب حرفة أو عسكريين حسب تاريخهم الشفوي.

هذا لايعني أن المتعلمين هم فقط في هذين المجالين إنما هم أيضا أطباء ومهندسيين ومعلمين ولهم وزنهم الاجتماعي قديما وإلى الآن.

3-9 التراث والمتاحف

اعتبر كل من قابلتهم الباحثة أن الفلكلور الشركسي المتمثّل باللباس القومي والرقص الشرقي الشركسي جزء مهمّ من الفلكلور الأردني، فنجده عنصرًا من عناصر الاحتفالات والمناسبات الرَّسميَّة في المملكة، بل يمتدّ إلى أن يمثلها في المناسبات الخارجية في عدة أنشطة خارج البلاد.

وتؤكّد الباحثة، وفقًا لطبيعة عملها، أننا إذا دخلنا إلى المتاحف الأردنيَّة التراثية فإننا نجد أن هناك معروضات من التراث الشركسي في قاعات المتاحف (متحف الحلي والأزياء، المدرج الروماني –عمان). وفي هذا دليل واضح على أن التراث الأردني الشركسي هو جزء من التراث الأردني.

متحف الحلي والأزياء في المدرج الروماني:

يقع متحف الحلي والأزياء في الجهة الشرقية داخل المدرج الروماني، إذ يحتوي على مجموعة كبيرة من الحلي والأزياء التي تمثّل المرأة الأردنية من جميع شرائح المجتمع، بما في ذلك الأزياء التي تعرض التنوّع الثقافي، وتمثّل الهجرات التي وفدت على الأردن، متل الأزياء الفلسطينية والشركسية.

ومثلما أكّد الذين قابلتهم الباحثة أنَّ الأردنيين على درجة من الوعي بأن تراثهم متنوّع، وقائم أساسًا على التعايش، على الرغم من التنوّع الثقافي والديني والعرقي.

متحف الأردن

يعد "متحف الأردن"متحفًا وطنيًا شاملًا للتاريخ والآثار والحياة السياسيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة في الأردن منذ العصر الحجري وحتى التاريخ الحديث للأردن مروراً ببقية العصور.يقع المتحف في

وسط عمّان، ضمن المجمع الثقافيّ الرابط بين شرق عمان وغربها، والذي يضم مباني أمانة عمان الكبرى ومركز الحسين الثقافيفي منطقة راس العين، على أرض تبلغ مساحتها أربعة دونمات قدمتها أمانة عمّان، وتبلغ مساحة البناء للمتحف عشرة آلاف متر مربع، وتشكل قاعات العرض جزءاً كبيراً منها، وتحوي قاعات العرض قطعاً أثريَّة وتراثيَّة يصل عددها إلى ألفي قطعة.

قام على تصميم طريقة عرض محتويات المتحف وتنفيذها متخصصون أردنيون في مجالات عدة، منها الهندسة، والآثار، والعلوم التطبيقية ذات العلاقة بالآثار. وذلك بمتابعة حثيثة من سمو الأميرة سمية بنت الحسن المعظمة نائب رئيسة مجلس أمناء متحف الأردن.

ولا تنحصر مهمة متحف الأردن في تقديم قصة الأردن لزواره بوصفه مكاناً للذاكرة الوطنية فحسب، بل تتعداها إلى المحافظة على التراث الوطني، والاتصال مع المجتمع المحلي بطبقاته كافة. ولايقتصر على يكون كونه فقط مركزاً للمعرفة والتعلم، بل يتيح الفرصة للدارسين بإجراء الأبحاث المتعلقة بتاريخ الوطن وتراثه. كما يشكل بوابة السياحة إلى المملكة

ويقوم متحف الأردن حاليًّا بتحضير قاعات عرض تمثّل الحياة التراثية للمجتمع الأردني وللتراث الشركسيّ والشيشاني نصيبًا كبيرا منها وذلك لإيمانهم أن هذا التراث جزء لا يتجزأ من تاريخ الاردن المعاصر .

3-10 كيف استفاد الشركس والشيشان من التكنولوجيا؟

حديثًا ومع الثورة المعلوماتيَّة أنشأ الشركس والشيشان مواقع ثقافيَّة وتعليميَّة على الشبكة العنكبوتيَّة تسهم في المحافظة على اللُّغة الأصليَّة، وعلى بقاء الهويَّة الخاصَّة بهم حيَّة في عقول أبنائهم .

استفاد الشركس والشيشان من الثورة المعلوماتيَّة ومن وسائل التواصل الاجتماعيّ ليؤسسوا مواقع ثقافية وتواصليَّة، تساعد في ربط الأجيال الحديثة بتراثهم وثقافتهم، من خلال نشر الثقافة وتعميمها بين صفوف الشركس والشيشان.

ومن هذه المواقع-https://arabic.rt.com/news/23930:
%D8%A7%D9%86%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%82_%D8%A8%D8%AB_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%84%D9%81%D8%B2%D9%8A%D9%88%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%B4%D8%A7%D9%86%D9%8A_%D8%B9%D8%A8%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D9%85%D8%A7%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B5%D8%B7%D9%86%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9/

https://ciyaye-kurmenc.com/tv/?cat=62

https://m.facebook.com/Nart4tv/?locale2=ar_AR

الأفلام الوثائقية: عمد الشركس والشيشان إلى استغلال التكنولوجيا كونها المصدر العلميّ الأسهل إلى إعداد الكثير من الأفلام الوثائقيَّة التي كانت بمثابة تعريف لهؤلاء وإبراز لمكنونات حياتهم وقداستعانت الباحثة أيضًا ببعض تلك الأفلام التي لها علاقة بالتراث الشركسي والتراث الشيشاني ، لتوسعة الرؤيا وشموليتها حول هذين الشعبين ومنها:

- https://youtu.be/NUdxLUnEpkc
- https://youtu.be/NT2c4jku29U
- https://youtu.be/5GoAJCiTWOc
- https://youtu.be/p1dWopto0k0
- https://youtu.be/YQCurdvf7Gs
- https://youtu.be/GsCMr9NecTM
- https://youtu.be/i9OgXXlZHSc
- https://youtu.be/SHNyRJD2RQs

الفصل الرابع

المناقشة والتحليل والنتائج

4-1 المناقشة والتحليل.

4-2 النتائج.

4-3الخاتمة.

4-1 المناقشة والتحليل

فيما يلي تناقش الباحثة وتحلّل ما خرجت به من المقابلات مع عينة البحث الشركسيَّة والشيشانيَّة، وصولًا إلى نتائج البحث.

- بدايةً تبيّن من خلال المقابلات أن هناك نوعًا من التخوّف أو عدم الشعور بالأمان والارتياح، فحتى عندما يبدي بعضهم رأيه بموضوع ما فإنه يتحفّظ، أو يذكر رأيه بشيء من التردد وخاصّة عند إثارة بعض القضايا كالحقوق التي يحصل عليها أفراد الشركس والشيشان، غير أن الخوف والتوتر صاحب بعض الأفراد من الشيشان أكثر من جيرانهم الشركس.
- تبين من خلال المقابلات أن الشركس والشيشان يراعون العادات والتقاليد، ويحافظون عليها، خاصة تلك المتصلة بنمط الحياة العائلية، والمتّصلة بمناسبات الأفراح وغيرها بيد أنَّ هذه الصفات استمرت بشكل واضح وملموس أكثر من الشركس وعند الغالبية العظمى منهم أو أكاد أقول الكل من الأشخاص المقابلين .

وهذا دليل على تمسكهم بها، وحرصهم على الأصالة وإبقاء الهوية الأصليَّة، وربما يعود ذلك إلى أملهم في العودة إلى أوطانهم يومًا ما. تعتبر نسبة الالتزام بالعادات والتقاليد والزيّ عاليةً جدًّا، مقارنة بالأقليات الأخرى.

- ظل التقليد القومي في عدم الفصل بين الجنسين في المجتمع الشركسي قائمًا حتى مع تقدّم الحياة، فبقيت مضافات الفتيات قائمة، ولكن الزيارات لم تكن بالوتيرة نفسها التي كانت في المرحلة الأولى، بسبب ظهور أماكن تجمعات لقضاء الوقت واللهو، كالمقاهي ودور السينما والأندية وملاعب كرة القدم... إلخ.

- وقد لمست الباحثة أيضًا تأثر الشركس بجيرانهم العرب، وبالتدين في المجتمع العربي، الذي يفصل بين مجالس الرجال ومجالس النساء العامة، فقد قالت إحداهن(م) في أثناء المقابلة: "كنا نعيش هناك (في البلاد الأصلية) على البساطة، دون فهم صحيح لقواعد الدين الإسلامي، ولكن هون (هنا) صرنا نعرف قواعد الدين الصحيح، ونطبقه". ويفهم من هذا القول أن بعض عاداتهم قد تأثرت بالفهم الديني السائد في الأردن.
- في البيت الشركسي كانت اللغة الشركسية هي السائدة، واستمر ذلك حتى منتصف الخمسينات لوجود كبار السن الذين لم يكونوا يتكلّمون العربية بطلاقة، كما لم يكن لائقًا أن يحدّث الأبناء آباءهم في تلك الفترة بغير الشركسية. وفي الحياة العامة أصبح لا بد من استخدام العربية، فنشأت ثنائية اللغة التي استمرت على ذلك النحو حتى أواخر الستينات، مع أخذ اللغة العربية حيّزًا أكبر مع مرور الوقت.

وكما قلنا من قبل فقد حرص المهاجرون الشركس والشيشان على أن يتحدث أبناؤهم داخل البيت باللغة الأصلية؛ ليحافظوا على صلتهم بتراثهم، على أمل العودة يومًا إلى وطنهم الأصلي.

وجاءت سيطرة اللغة العربية بوصفها لغة التعليم والثقافة والشارع، فيما انزوت اللغة الأصلية في ذاكرة كبار السن، أو في بطون الكتب.

وحديثًا مع الثورة المعلوماتية أنشأ الشركس والشيشان مواقع ثقافية وتعليمية على الشبكة العنكبوتية تسهم في المحافظة على اللغة الأصلية، كما سنرى لاحقًا!

- اختفى الزيّ الشركسي التقليديّ، ليرتدي الجيل الجديد الزيّ الإفرنجي، كغيرهم من المواطنين، وإن ظل كثير منهم يستخدم (الكوفية) العربية غطاءً للرأس، وتركوها فيما بعد مع ترك أغلبية سكان المدينة لها.

ليست هذه حال الشركس والشيشان فقط، بل هي حال كثير من السكان في الأردن في تأثرهم بالزيّ الإفرنجي (القميص والبنطلون)، خاصة أنه يتناسب مع الحياة العملية والحركية التي يعيشها أغلب الناس. فانزوى الزي التقليدي الشركسيّ والشيشانيّ، بل والعربيّ، وأصبح لباسًا للمناسبات والاحتفالات العامة والخاصة.

- انخرط الجيل الجديد من الشراكسة في الدراسة في المدارس الحكومية، وبهذا تشرّبوا الثقافة العربيَّة لتصبح فيما بعد ثقافته الأساسيَّة، وهو ما مهّد الطريق للاندماج في تيار المجتمع الأردني الكبير. وهو ما يتماشى وسياسة الدولة الأردنية في سعيها إلى نشر الثقافة الأردنية وتعميمها، بعد صهر جميع الثقافات الأصلية والوافدة في بوتقة ثقافية عامة تشكل ثقافة أردنية أصلية ومعاصرة.
- أصبحت حفلات الرقص المنزلية (الفنطزية) المفتوحة أقلَّ ظهورًا. كما ظهرت الأندية والجمعيات الخيرية والثقافية في هذه المرحلة، فقد تأسست (الجمعية الخيرية الشركسية) عام 1932م، كبيتٍ للشراكسة يعنى بالدرجة الأولى بمساعدة الأقل حظًّا في المجتمعات الشركسية المحلية، ثم جاء تأسيس (النادي الأهلي) عام 1944 للعناية بالرياضة، إضافة إلى عنايته بالجوانب الثقافية والاجتماعية، ثم تأسس (نادي الجيل الجديد) في عام 1949م؛ ليعنى بالحفاظ على الموروث الثقافي الشركسي بالدرجة الأولى، ثم بالجوانب الرياضية والاجتماعية والثقافية عمومًا.
- جاء تأسيس هذه المؤسسات الاجتماعية والرياضية والثقافية من قبل الشباب الذين تعلموا في المدارس الحكومية الحديثة التأسيس بدافع من حنينهم إلى منابتهم الأصلية وجذور آبائهم وأجدادهم، وتوقهم إلى حماية موروثهم الثقافي كمساهمة إنسانية خلّاقة في التنمية الثقافية، كما أن سعيهم الإنساني للاتصال العاطفي بجذورهم التاريخية.
- كما جاء تأسيس هذه المؤسسات أيضًا للتعويض عن قلة التواصل الاجتماعي في اللقاءات والمناسبات الاجتماعيَّة بسبب تلاشي التجاور المكاني للشراكسة، بعكس ما كان سائدًا في المرحلة

الأولى من هجرتهم. وقد جاء تفكيرهم بإنشاء النوادي والجمعيات منسجمًا ومتفقًا مع روح العصر، ونموّ المجتمع في التعبير عن حبهم، ورغبتهم بإحياء اللقاءات الاجتماعية التي كانت عزيزة على قلوبهم، وللحفاظ على الهوية القومية بين الشباب الشراكسة، التي قاربت على الاندثار.

- وقد استفاد الشركس والشيشان من الثورة المعلوماتيَّة ومن وسائل التواصل الاجتماعي ليؤسسوا مواقع ثقافية وتواصلية، تساعد في ربط الأجيال الحديثة بتراثهم وثقافتهم، من خلال نشر الثقافة وتعميمها بين صفوف الشركس والشيشان[7].
- أن السمات العامة لكلا الشعبين الشركسي والشيشاني تعتبر واحدة إلى حدٍّ ما، فعادات الزواج واحدة، ولا اختلاف بينهما إلا بالحفاظ على تلك العادات.

ويرجع ذلك إلى أنهما يعودان إلى منطقة جغرافية واحدة، وربما كانت أصولهما واحدة أيضًا، كما أن مصادر الثقافة لهما واحدة، بحكم تجاورهما.

- تمسك الشيشان بالتحدث باللغة الشيشانية داخل بيوتهم حتى الآن، وإصرارهم الشديد على الحفاظ عليها.

وهذا ما أكدناه من قبل، في حرص الشركس على التحدث باللغة الشركسية داخل البيت، وكذلك فعل الشيشان مع أولادهم، لحرصهم على حفظها.

- طريقة السلام بين الشيشان أنفسهم، كالنساء تكون بالحضن والعناق. أما الرجال فهو السلام برفع اليد فقط. وربما يعود ذلك إلى أمور عملية، فقد تكون أيدي الرجال متسخة بما يعملون به من مهن وأعمال، فيكتفون بالسلام بالإشارة باليد.
- الغذاء هو أحد عناصر التراث المشترك بين الشركس والشيشان، ونلاحظ الاعتماد على الدقيق مادةً أساسيةً في مأكولاتهم.

ويبدو أن اعتمادهم على القمح لأنه المادة الأساسية التي تنتجها بلادهم الأصلية، ولذا دخل القمح في أكثر أطعمتهم.

لكنهم حين استقروا في الأردن وجدوا مناخًا مختلفا وزراعات متعددة، وأراضي خصبة تنتج كل أنواع الخضار والفواكه، فاعتنوا بذلك، وصاروا مثل جيرانهم من سكان مناطقهم.

- تقاليد الزواج متنوعة بدءًا من الخطبة والعرس وإجراءاته، وهي تعكس روح الفرح بين أبناء المجتمع الشركسي والشيشاني.

كما تعكس روح الفروسية التي وسمت حياة الشركس والشيشان وأثرت في تقاليدهم في الزواج، بل إن نظام "الخطيفة" يعدّ نظاما فروسيًّا، بذكر بأخلاق الفرسان وعاداتهم، وما يتميزون به من مروءة وعلوّ نفس.

ولذا يعتبر الخطف حالةً عادية جدًّا ومقبولة، وهو يحفظ للفتاة الخطيفة حقوقها الزوجية كالمهر وغيره.

- تكاد نسبة الطلاق أن تكون معدومة، بسبب سيطرة العادات والتقاليد.
- للغة الشركسية المكتوبة آدابها وثقافتها.
- يتكوّن الزيّ الشركسي والشيشاني للرجل من قميص طويل مفتوح من الأمام، قماشه سميك سادة، والكمّ طويل، ويلبس تحته قميص رقيق مع سروال، وعلى الرأس قلبق، إضافة إلى التحزم بزنار وخنجر، وأما الحذاء فمن الجلد.
- يتألّف الثوب النسائي الشركسي من رداء خارجيّ مفتوح، له من الأمام ثلاثة أزرار ذهبية أو فضية، وأكمامه ضيّقة تبدأ بالتوسّع والطول، وعلى نهاية الأكمام تطريز ذهبيّ أو فضيّ، ويلبس تحت هذا الرداء ثوب طويل أو تنورة طويلة مزركشة، وعلى الرأس قبعة وغطاء للرأس، وأما الزنّار فيكون معدنيًّا مزيّنًا بنقوش ذهبية أو فضية جميلة.

وترى الباحثة أن اللباس الشركسي والشيشاني ثقيل الوزن، ويعوق الحركة العملية، ولا يناسب المناخ الأردني إلا في فترة قصيرة من فصل الشتاء، ولذا بقي هذا اللباس مرتبطًا بالتراث والمتاحف، وصار يلبس في المناسبات فقط، تأكيدًا للتمسك بهذا التراث.

كما أن بعض مكوناته، كالزنار والخنجر، متأثرة بحياة الصيد والفروسية التي عاشوها في بلادهم. كذلك فإن لباس المرأة الشركسية والشيشانية أصبح لباسًا للمناسبات فقط؛ لما فيه من العناية والاهتمام، وعدم مناسبته للحياة العملية في الجامعات والمدارس، بل والمزارع.

- اختفت الطوابين الخاصة بصنع الخبز، مع سرعة رتم الحياة وعمل الشركس رجالًا ونساءً في وظائف حكومية. ومع ذلك فما زالت كيكة العسل من أشهر الحلويات الشيشانية أو القوقازية.

يعود السبب في ذلك إلى التحضر الذي انتقل إليه المجتمع الأردني عمومًا، فانتشرت العمارات متعددة الطوابق، وانتشرت الأفران والمخابز التي توفر على المرأة، التي أصبحت عاملة وموظفة، كثيرًا من الوقت والجهد والمال، إضافة إلى عدم توافر الحيّز لإقامة هذه الطوابين في البيوت داخل المدن.

- كانت المضافات تغصّ بالوجوه من كبار السنّ في المجتمعات المحلية. لكن وجودها تقلص مع تقدم الحياة وتعقّدها، حتى انتهت تقريبًا في أواسط الخمسينات من القرن الماضي. وقد أثر ذلك في ضعف التماسك الاجتماعيّ بين المجتمعات المحليَّة الأردنيَّة من أصول شركسيَّة، ولكن دون مظاهر سلبية.

ترى الباحثة أن ظاهرة المضافات والدواوين قد اختفت خلال فترة الخمسينات حتى الثمانينات من القرن الماضي، لكنها عادت بقوة بسبب ظروف اجتماعية أثّرت بقوة في ذلك، كمناسبات الأفراح والأحزان، والانتخابات العامة.

- كانت غرفة الضيوف إذا ما توافرت لدى العائلة الشركسية مضافة للفتيات. وقد أشرنا إلى أنها اختفت تقريبًا.
- اعتاد الشراكسة زيارة المريض والسهر عنده لتسليته والتسرية عنه. وهذا نوع من التكافل والتماسك الاجتماعي.
- يتمثّل الفلكلور الشركسي باللباس القومي والرقص الشرقي الشركسي، وهو جزء مهمّ من الفلكلور الأردني.
- سبب اندماج الشركس والشيشان بجيرانهم العرب هو الدعم الحكومي بدايةً، وتقبُّل جيرانهم العرب لوجودهم، والتعاون بينهم في شتى المجالات. ولا زال الشركس والشيشان ينعتون الشعب الأردني بالعربي، فعندما يتحدثون عن أي أردني يقولون: "ذلك العربي"؛ واتّضح هذا من خلال جميع المقابلات. وهو دليل على ما يكنونه لهم من احترام وتقدير، نابع من الاحترام الديني للعرب؛ إذ هم مادة الإسلام الأولى.
- الأردنيون على درجة من الوعي بأن تراثهم متنوّع، وقائم أساسًا على التعايش، على الرغم من التنوّع الثقافي والديني والعرقي؛ وهذا ما أنتج تعايشًا وتآلفًا وانسجامًا في لُحمة واحدة.
- مرّت على الشراكسة والشركس ظروفٌ صعبة قاسية قبل أن يستقروا في الأردن ويشعروا بالأمن. وهذا دليل أنهم وجدوا فيه الأمن والأمان، إضافة إلى أن هذا دليل على أن الأردن بلد مضياف، وأن أهله طيبون وكرماء.

4-2 النتائج

خرجت الباحثة من المقابلات مع عينة البحث الشركسية والشيشانية إلى العديد من النتائج إذ تمثلت بالمعاناة والتعب والمعوّقات التي تعرض لها الشركس في بلادهم، وخلال رحلات هجراتهم، وحتى خلال مراحل استقرارهم؛ وهو ما جعلهم يتمسكون بخصوصيتهم وتراثهم أكثر، واعتزازهم بدينهم الإسلامي، فقد كان السبب الرئيس في ارتحالهم وهجرتهم هو فرارهم بدينهم من اضطهاد الروس لهم، وضغطهم عليهم ليبدلوا دينهم تمسكهم بالروابط العائلية والقبلية، وهو ما جعلهم يسكنون في تجمعات قبلية؛ فاستطاعت أن تحافظ على العادات والقيم التي انتقلت معهم من بلادهم الأصلية، وأثّرت كذلك في توحدهم كقوة اجتماعية وسياسية متّزنة.

وجاء اعتناؤهم بالزراعة والفلاحة وتربية المواشي؛ ليسهم في استقرارهم وتكاثرهم، وجعل ذلك منهم قوة اقتصادية مهمة في الأردن في عهد الدولة والإمارة بعد ذلك، وتميّز المهاجرون الشراكسة بمعرفتهم بالحرف والمهن المختلفة؛ فكان فيهم البنائون والنجارون والحدادون، إضافة إلى معرفتهم بالهندسة وفنون الزراعة والري والتجارة؛ فشكّلوا ثروة وطنية أفاد منها الأردن الناشئ بعد ذلك ناهيك عن خطط المهاجرون الشراكسة قراهم وبيوتهم وفق الطراز الإسلامي العام الذي كان منتشرًا آنذاك، والذي يعتمد على بناء المسجد والسوق في وسط القرية، ثم تنتزع منه الشوارع والأزقة، وتنتشر حولها البيوت.

أفاد المهاجرون الشراكسة من معطيات البيئة المحلية، كالحجارة والطين والحوّر، وشجر الصفصاف والدفلى، وأقاموا تجمعاتهم حول التجمعات المائية التي أفادوا منها للشرب وري المزروعات شكّل الشركس قوة اقتصادية بما ينتجونه من حبوب وغلال، وزراعات مروية أسهمت في إنشاء تجمعات حضرية، وأسهمت في استقرار القبائل البدوية كثيرة الارتحال حول هذه

التجمعات لتأمين غذائها وما تحتاج إليه من مواد وخدمات أخرى؛ وأسهم في المحصلة في استقرار المجتمع الأردني (البدو والحضر)، ووقف الغزوات إذ بقي المجتمع الشركسي في أمور العادات والتقاليد منغلقًا على نفسه، وحافظ على هذه العادات، وتوارثها أبناؤه لسنوات طويلة إضافة إلى ذلك اكتسب الشركس احترام جيرانهم الذين جاوروهم في الأردن، وجاء هذا الاحترام من طريقين: احترام الشركس لجيرانهم وعدم تدخلهم في شؤونهم، وتمتّعهم بالقوة القتالية التي هابها الجميع واحترموهم لأجلها، على الرغم من حدوث بعض الحوادث والاحتكاكات مع بعض القبائل المجاورة، وقد تبين من خلال المقابلات أن الشركس والشيشان يراعون العادات والتقاليد، ويحافظون عليها، خاصة تلك المتصلة بنمط الحياة العائلية، والمتّصلة بمناسبات الأفراح وغيرها، حيث ظل التقليد القومي في عدم الفصل بين الجنسين في المجتمع الشركسي قائمًا حتى مع تقدّم الحياة، فبقيت مضافات الفتيات قائمة، ولكن الزيارات لم تكن بالوتيرة نفسها التي كانت في المرحلة الأولى، بسبب ظهور أماكن تجمعات لقضاء الوقت واللهو، كالمقاهي ودور السينما والأندية وملاعب كرة القدم... إلخ، وفي البيت الشركسي كانت اللغة الشركسية هي السائدة، واستمر ذلك حتى منتصف الخمسينات لوجود كبار السن الذين لم يكونوا يتكلّمون العربية بطلاقة، كما لم يكن لائقًا أن يحدّث الأبناء آباءهم في تلك الفترة بغير الشركسية. وفي الحياة العامة أصبح لا بد من استخدام العربية، فنشأت ثنائية اللغة التي استمرت على ذلك النحو حتى أواخر الستينات، مع أخذ اللغة العربية حيّزًا أكبر مع مرور الوقت.

واختفى الزيّ الشركسي التقليدي، ليرتدي الجيل الجديد الزيّ الإفرنجي، كغيرهم من المواطنين، وإن بات كثير منهم يستخدم (الكوفية) العربية غطاءً للرأس، وتركوها فيما بعد مع ترك أغلبية سكان المدينة لها، وانخرط الجيل الجديد من الشراكسة في الدراسة في المدارس الحكومية، وبهذا تشرّبوا

الثقافة العربية لتصبح فيما بعد ثقافته الأساسية، وهو ما مهّد الطريق للاندماج في تيار المجتمع الأردني الكبير، إذ أصبحت حفلات الرقص المنزلية (الفنطزية) المفتوحة أقلَّ ظهورًا. كما ظهرت الأندية والجمعيات الخيرية والثقافية في هذه المرحلة، فقد تأسست (الجمعية الخيرية الشركسية) عام 1932م، كبيتٍ للشراكسة يعنى بالدرجة الأولى بمساعدة الأقل حظًّا في المجتمعات الشركسية المحلية، ثم جاء تأسيس (النادي الاهلي) عام 1944 للعناية بالرياضة، إضافة إلى عنايته بالجوانب الثقافية والاجتماعية، ثم تأسس (نادي الجيل الجديد) في عام 1949م؛ ليعنى بالحفاظ على الموروث الثقافي الشركسي بالدرجة الأولى، ثم بالجوانب الرياضيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة عمومًا، وجاء تأسيس هذه المؤسسات الاجتماعيَّة والرياضيَّة والثقافيَّة من قبل الشباب الذين تعلموا في المدارس الحكومية الحديثة التأسيس بدافع من حنينهم إلى منابتهم الأصلية وجذور آبائهم وأجدادهم، وتوقهم إلى حماية موروثهم الثقافي كمساهمة إنسانية خلّاقة في التنمية الثقافية، كما أن سعيهم الإنساني للاتصال العاطفي بجذورهم التاريخية، ونلاحظ أيضًا تعويض عن قلة التواصل الاجتماعي في اللقاءات والمناسبات الاجتماعية بسبب تلاشي التجاور المكاني للشراكسة، بعكس ما كان سائدًا في المرحلة الأولى من هجرتهم. وقد جاء تفكيرهم بإنشاء النوادي والجمعيات منسجمًا ومتفقًا مع روح العصر، ونموّ المجتمع في التعبير عن حبهم، ورغبتهم بإحياء اللقاءات الاجتماعية التي كانت عزيزة على قلوبهم، وللحفاظ على الهوية القومية بين الشباب الشراكسة، التي قاربت على الاندثار، وأن السمات العامة لكلا الشعبين الشركسي والشيشاني تعتبر واحدة إلى حدٍّ ما، فعادات الزواج واحدة، ولا اختلاف بينهما إلا بالحفاظ على تلك العادات، وتمسّك الشيشان بالتحدث باللغة الشيشانية داخل بيوتهم حتى الآن، وإصرارهم الشديد على الحفاظ عليها، بينما الغذاء هو أحد عناصر التراث المشترك بين الشركس والشيشان، ونلاحظ الاعتماد على الدقيق مادةً أساسيةً في مأكولاتهم.

تعد تقاليد الزواج متنوعة بدءًا من الخطبة والعرس وإجراءاته، وهي تعكس روح الفرح بين أبناء المجتمع الشركسي والشيشاني، وتكاد نسبة الطلاق أن تكون معدومة، بسبب سيطرة العادات والتقاليد، ويعتبر الخطف حالةً عادية جدًّا ومقبولة، وهو يحفظ للفتاة الخطيفة حقوقها الزوجية كالمهر وغيره، ويتكوّن الزيّ الشركسي والشيشاني للرجل من قميص طويل مفتوح من الأمام، قماشه سميك سادة، والكمّ طويل، ويلبس تحته قميص رقيق مع سروال، وعلى الرأس قلبق، إضافة إلى التحزم بزنار وخنجر، وأما الحذاء فمن الجلد، ويتألف الثوب النسائي الشركسي من رداء خارجي مفتوح له من الأمام ثلاثة أزرار ذهبية أو فضية، وأكمامه ضيّقة تبدأ بالتوسع والطول، وعلى نهاية الأكمام تطريز ذهبيّ أو فضيّ، ويلبس تحت هذا الرداء ثوب طويل أو تنورة طويلة مرزكشة، وعلى الرأس قبعة وغطاء للرأس، وأما الزنار فيكون معدنيًّا مزينًا بنقوش ذهبية أو فضية جميلة، حيثما اختفت الطوابين الخاصة بصنع الخبز، مع سرعة رتم الحياة وعمل الشركس رجالًا ونساءً، في وظائف حكومية. ومع ذلك فما زالت كيكة العسل من أشهر الحلويات الشيشانية أو القوقازية، وكانت المضافات تغصّ بالوجوه من كبار السن في المجتمعات المحلية. لكن وجودها تقلص مع تقدم الحياة وتعقّدها، حتى انتهت تقريبًا في أواسط الخمسينات من القرن الماضي. وقد أثر ذلك في ضعف التماسك الاجتماعي بين المجتمعات المحلية الأردنية من أصول شركسية، ولكن دون مظاهر سلبية.

كانت غرفة الضيوف إذا ما توافرت لدى العائلة الشركسية مضافة للفتيات، إذ اعتاد الشراكسة زيارة المريض والسهر عنده لتسليته والتسرية عنه، ويتمثّل الفلكلور الشركسي باللباس القومي والرقص الشرقي الشركسي، وهو جزء مهمّ من الفلكلور الأردني، ويعد سبب اندماج

الشركس والشيشان بجيرانهم العرب هو الدعم الحكومي بداية، وتقبُّل العرب لوجودهم، والتعاون في شتى المجالات، ومن المميز أن الأردنيين على درجة من الوعي بتراثهم المتنوّع، وهو قائم أساسًا على التعايش، على الرغم من التنوّع الثقافي والديني والعرقي، إذ واجه الشراكسة ظروفًا صعبة قاسية قبل أن يستقروا في الأردن ويشعروا بالأمن.

4-3 الخاتمة

حاولت الباحثة في دراستها هذه إظهار التنوّع الثقافي الأردني، من خلال إبراز التراثين الشركسي والشيشاني، وتنوعهما الثقافي في مختلف الميادين، وأبرزت أيضًا تأثير هذين العنصرين في المجتمع الأردني، بعد استقرارهما فيه بفعل الهجرات. وقد شكّلت مع مكوّنات المجتمع الأخرى مزيجًا من تراث ثقافيّ ماديّ وغير ماديّ جديد.

وقد ظهر تأثير الشركس والشيشان في تشكيل المجتمع الأردني المعاصر، وفي مختلف مظاهر الحياة المدنية والريفية فيه، خاصة في مجالات الزراعة والصناعة والبناء، حيث ظهر أثرهما واضحًا في المجتمع المحيط بهما واضحًا.

وللمحافظة على تراثهم سعى الشركس والشيشان إلى تأسيس مؤسسات اجتماعية ورياضية وثقافية، تزيد من حنينهم إلى منابتهم الأصلية وجذور آبائهم وأجدادهم، وتساعد في حماية موروثهم الثقافي، وتحافظ على اتصالهم العاطفي بجذورهم التاريخية.

كما أن تعقّد الحياة وتباعد أماكن السكن أنتج قلة التواصل الاجتماعي في اللقاءات والمناسبات الاجتماعية، أنتج رغبتهم بإحياء اللقاءات الاجتماعية، للحفاظ على الهوية القومية بين الشباب، التي قاربت على الاندثار.

وفي هذا المجال تؤكد الباحثة الدور المنوط بوزارتي الثقافة والسياحة والآثار في إبراز تراث الأقليات الشركسية والشيشانية، من خلال المتاحف والمعارض الوطنية والدولية، ودورهما في تسويق المعالم التراثية لهذه الأقليات كمناطق جذب سياحي، ولإظهار التنوّع الثقافي والإثني في الأردن.

وأخيرًا تدعو الباحثة إلى انتهاج سياسة توعية عامة بتراث الأقليات في الأردن وموروثها الحضاريّ المادّيّ وغير المادّيّ؛ لتعميق أسس التضامن المجتمعي ومفاهيمه بين مكوّنات المجتمع الأردني المختلفة، مما يسهم في تغيير النظرة السلبية تجاههم، واحترام التعددية العرقية في الأردن، ويزيد من الانفتاح الثقافي من خلال النظر بعين التنوّع المتجذّر منذ القدم في مجتمعنا.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربيَّة

- ارشيد، عبدالله. 2002م.**ملامح الحياة الشعبية في مدينة عمان.** ط2، عمان.
- انتون، ريتشارد. 2003. دراسات في تاريخ الأردن الاجتماعي. دار السندباد للنشر، عمّان، الأردن.
- باتسج، محمد خير مامسر. 2009م.**الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية "الأديغة" من الألف العاشر ما قبل الميلاد إلى الألف الثالث ما بعد الميلاد،** ج 5، ط1، دار وائل، عمان.
- البشايرة، راتب محمود. 1997م.**الشيشانيون الأردنيون: دراسة جغرافية، بشرية واقتصادية**،ط1، مؤسسة حمادة ودار الكندي، إربد.
- بقاعي، إيمان. 2014م.**الوطن في أدب الشراكسة (الأديغة) العربي والمعرّب**، بيروت.
- حغندوقة، محمد خير. 1982.**الشركس: عاداتهم، تقاليدهم، وهجرتهم إلى الأردن،** عمان.
- الحمزة، خالد.1997.**التراث الشعبي التشكيلي في الأردن.** جامعة اليرموك، إربد.
- الحنيطي، صيتا. 2012. **الأزياء الشعبية الأردنية.** وزارة الثقافة، عمان.
- الحوراني, محمدز 2015. **إعادة إنتاج الهوية الاثنية في المجتمع الاردني: تطبيق نظرية التشكيل**, المجلة الاردنية للعلوم الاجتماعية, المجلد 8.
- داوود، جورج طريف. 1983. **السلط وجوارها خلال 1864-1921**، ط1، البنك الأهلي،عمان.

- ديركرابديان، اردا فريج. 2005. **الأرمن الأردنيون**. البنك الأهلي، عمان.
- أبو ركبة، سمر. 2011م.**الأقليات في الوطن العربي**، د.ن.
- أبو زيد, أحمد مصطفى, 1982. **مدخل لدراسة المجتمع**, الهيئة المصرية العامة للكتاب, الاسكندرية, مصر.
- سمكوغ، برزج. 1995م.**الشركس في فجر التاريخ**، منشورات علاء الدين، دمشق.
- شحالتوغ، روحي. 2018م. **الشركس في عيونهم**، شهادة شخصية.
- صابان، سهيل. 2000م.**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**،مكتبة الملك فهدالوطنية. الرياض.
- عزازيان، هوري. 1993. **الجاليات الأرمنية في البلاد العربية**، دار الحور للطباعة والنشر.
- طاس، عاطف سعيد حاج. 2009. **مدخل للتراث الشفوي الشركسي**.
- القضاة، إبراهيم. 2009. **المجتمع الأردني: شرائحه وعاداته وتقاليده**، عمان.
- المدور، مروان. 1982. **الأرمن عبر التاريخ**. بيروت، لبنان.
- ناشخو، جودت. 1995م. **تاريخ الشركس (الأديغة) والشيشان في لواءي حوران وعجلون 1878- 1920م**،وزارة الثقافة،عمان.
- ناشخو، جودت. 1998. **تاريخ الشركس**. وزارة الثقافة، عمان.
- نوفان السوارية 1996. **عمان وجوارها**، بنك الأعمال، عمان.
- المالكي،مجدي وياسر شلبي،2000، **الهجرة الداخلية والعائدة في الضفة الغربيةوقطاع غزة**، معهد ابحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني, القدس.

- النوايسة وآخرون. 2012. التنوع الثقافي في الأردن: النسيج الاجتماعي والتشريعات والفعالياتالثقافية، وزارة الثقافة عمان.
- مامسر. 2009. **موسوعة الأمة الشركسية**، ج2، دار وائل للنشر، عمان.

ثالثًا: المراجع الأجنبيَّة

- Barth, F. (1969). **Ethnic groups and boundaries: The social organization of culture difference.** Waveland Press.
- Shami, S. (1992) `19th**Century Circassian Settlements in Jordan**, in "Studies in the History and Archaeology of Jordan", IV, pp.417±21. Amman: Department of Antiquities.
- Shami, S. (1995) `**Disjuncture in Ethnicity: Negotiating Circassian Identity in "Jordan, Turkey and the Caucasus**", New Perspectives on Turkey 12 (Spring): 79- 95**.**
- **http://cutt.us.com/LidMEa**
- **https://ciyaye-kurmenc.com/tv/?cat=62**
- **https://m.facebook.com/Nart4tv/?locale2=ar_AR**
- **https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2011/05/21/228359.html**
- **https://www.alfaisalmag.com/?p=3992.**

ثانياً: المقابلات

أ-مقابلات مجموعات التركيز:

مجموعة تركيز (1): 7 أشخاص متعدّدي الأعمار، 6/ 4/ 2019م.

مجموعة تركيز (2): 7 أشخاص، في ديوان آل ساكو، صويلح، 10/ 7/ 2019م.

مجموعة تركيز (3): 9 أشخاص، جمعية ساكو الشيشانية، صويلح، 17/ 7/ 2019م.

مجموعة تركيز (4): 12 شخصًا، مضافة أرسلان، السخنة، 8/9/ 2019م.

مجموعة تركيز(5): 6 أشخاص، بيت السيدة سيمونا ساكو، 8/15/ 2019م.

ب- مقابلات الأفراد:

مقابلة مع روحي شحالتوغ، في بيته في بيادر وادي السير، 9/ 2/ 2019م.

مقابلة مع زهدي جان بيك، في الجمعية الشركسية، عمان، 28/ 2/ 2019م.

مقابلة مع جميل إسحاقات، في مكتبة الجمعية الشركسية، عمان، 9/ 3/ 2019م.

مقابلة مع عصام بينو، في صويلح 3/ 7/ 2019م.

مقابلة مع نعمت أصحاب، في صويلح، 3/ 7/ 2019م.

مقابلة مع داوود بوتاي،مقابل بوابة المدينة الرياضية/ دار الحلويات القوقازية، عمان، 8/ 7/ 2019م.

مقابلة مع الحاجة بدرية، في بيتها، صويلح، 8/ 8/ 2019م.

مقابلة مع محمد أحمد مراد ساكو وزوجته.

مقابلة مع عالية عبدالجليل الشيشاني

مقابلة مع عبدالغفور سيد بطل بينو